

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية



مذكرة ماستر

تخصص : أدب عربي قديم

من إعداد الطالبتين

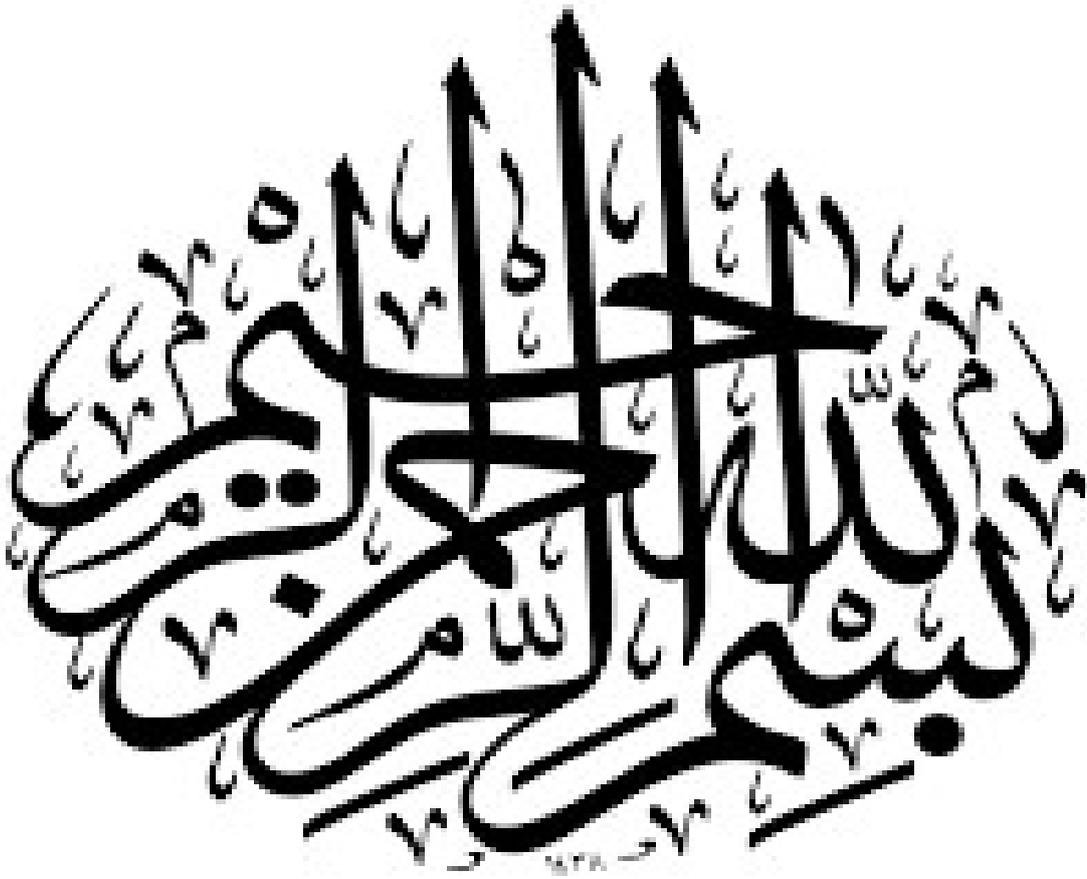
بن لعامر سارة - باشا سارة

صورة المرأة وتجلياتها في شعر عروة بن الورد

لجنة المناقشة:

مشرفا	محمد خيضر	أ-د	سليم بتقة
رئيسا	محمد خيضر	د	لعلى سعادة
مناقشا	محمد خيضر	د	نوال بن صالح

السنة الجامعية: 2020/2019 م



دعاء

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي
أَمْرِي وَأَحِلِّ عُنُقَةَ مَنْ لِسَانِي
يَفْقَهُوا قَوْلِي

شكر وعرفان

نتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذنا المشرف الدكتور سليم بتقة
على قبوله الإشراف، وعلى ما قدمه لنا من توجيهات، جزاه الله
عنا كل الخير، وجعله دائما في خدمة العلم، كما نشكر
الأستاذين الفاضلين عضوي لجنة المناقشة: الدكتور لعلی
سعادة، و الدكتورة بن صالح نوال على تفضلهما بقراءة البحث
وتقويمه فلهم جميعا منا كل الشكر والثناء والتقدير.

حَقِّقْ حَقِّقْ

مقدمة

الحمد لله الأول قبل الإنشاء الآخر قبل فناء الأشياء العليم الذي لا ينسى من ذكره، ولا ينقص من شكره ولا يخيب من دعاه، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم وعلى وصحبه أجمعين، وبعد:

لقد حظي موضوع الشعر في العصر الجاهلي باهتمام كبير، فنجد أن الدراسات التي تناولته كثيرة ومتعددة، وأخذت اهتمام الدارسين منذ أحقاب ضاربة من الزمان.

و إذا تمعنا الشعر الجاهلي لوجدنا أن المرأة قد نالت منه حظا وافرا وأنها كانت ركنا أساسيا من أركان المجتمع الجاهلي، بحيث أنها شغلت مساحة واسعة من خارطة الشعر العربي الجاهلي، فلا تفتح قصيدة جاهلية إلا بمقدمة غزلية أو طلبية أو النسب أو الظعن...، وبهذا غدت تلك المرأة معلما من معالم ذلك العصر.

ومن الطوائف التي اهتمت بالمرأة في العصر الجاهلي طائفة الشعراء الصعاليك الذين خرجوا عن السياق القبلي لأسباب مختلفة، بعضها سياسية أو اقتصادية، وبعضها اجتماعية أو نفسية، فنجدهم قد قدموا صورة مغايرة لتلك المرأة التي كان موقعها غزليا، فتحولت إلى كيانات وتجليات أخرى مختلفة. ولأن المرأة لدى الشعراء الصعاليك غاية يراد بلوغها اخترنا أحد هؤلاء الشعراء الصعاليك هو عروة بن الورد، لنرى كيف تجلت صورة المرأة في شعره.

ومن هذا المنطلق وسما ببحثنا ب: صورة المرأة وتجلياتها في شعر عروة بن الورد حاولنا فيه الإجابة عن عدة تساؤلات أهمها:

- كيف كانت صورة المرأة عند عروة بن الورد؟.
 - كيف نظر عروة بن الورد للمرأة؟ وما مدى قيمة تلك المرأة بالنسبة إليه؟.
 - كيف تبوأ صورة عروة بن الورد لدى امرأته؟.
- ومن الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع:
- قلة البحوث ذات الصلة ببحثنا -على حد علمنا-، باستثناء بعض الدراسات التي تناولت صورة المرأة عند الصعاليك بصورة عامة.

- أردنا استقصاء أشعار عروة التي حاور فيها المرأة ووصفها وأحبها وشاطرها أحلامه وآماله والإلمام بها وجمعها فكان من حين لآخر يرسم لها صورة سواء أكانت تلك المرأة زوجة أم حبيبة أم أختا...

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على خطة تضمنت: مدخلا وفصلين وخاتمة. فضمنا المدخل حديثا عن الشعر الجاهلي، أما الفصل الأول فعنوانته بالصعلكة والصعاليك، تناولنا فيه : تعريف الصعلكة والصعاليك، إطار الصعلكة (الإطار السياسي والاجتماعي والاقتصادي للصعاليك)، موضوعات شعر الصعاليك. أما الفصل الثاني التطبيقي فقد خصصناه لدراسة صورة المرأة وتجلياتها في شعر عروة بن الورد وقد أوردنا فيه خمس صور. لنخلص في النهاية إلى خاتمة تضمنت أهم النتائج المتحصل عليها من خلال هذه الدراسة.

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي التحليلي الذي يستند إلى التحليل الثقافي .

ونود أن نشير إلى أننا قد اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر والمراجع و الدراسات المتنوعة التي رأينا أنها تخدم البحث و تصب في اطاره، وأنها أفادته أيما إفادة ، وأهمها نذكر:

- كتاب الأغاني ل:أبي فرج الأصفهاني
- تاريخ الأدب العربي ل: شوقي ضيف.
- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ل: يوسف خليف.
- شعر الصعاليك ل: عبد الحليم حفني.

و قد واجه البحث كغيره من البحوث العلمية صعوبات تتمثل أهمها في:

- صعوبة جمع المادة العلمية والإلمام بها، بسبب ظروف الحجر الصحي، وغلق المكتبات الجامعية.

- طبيعة النص الصعلوكي الذي يتميز بالتعقيد ويتميز بالغريب والوحشي من الألفاظ، إضافة إلى أن المقطوعات التي تناول فيها شاعرنا صورة المرأة عددها قليل و محدود.

ومع ذلك، فقد استطعنا أن نتجاوز تلك الصعوبات بفضل الله أولاً، ثم بفضل الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور " سليم بتقة " الذي شرفنا بإشرافه وقبوله احتضان هذا البحث و تأطيره، فلم يبخل علينا بنصائحه و توجيهاته التي أفدنا منها كثيراً، ولولا توجيهاته لما استقام البحث على هذه الصورة ولم يكتمل بهذا الشكل، فإليه نرفع أسمى آيات الشكر والعرفان، كما لا يسعنا أيضاً أن نتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء اللجنة الموقرة، لتفضلها بقراءة البحث وتقويمه. فالله نسأل التوفيق والسداد، فهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

مدخل

الشعر الجاهلي

(1) - الشعر في العصر الجاهلي:

قبل أن نتحدث عن الشعر في العصر الجاهلي "ينبغي أن نعرف أن كلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم و نقيضه ،إنما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق ،فهي تقابل كلمة الإسلام التي ندل على الخضوع والطاعة لله جل وعز وما يطوى فيها من سلوك خلق كريم ،ودارت الكلمة في الذكر الحكيم والحديث النبوي ،والشعر الجاهلي ،بهذا المعنى من الحمية والطيش ، والغضب¹."ونجد هذا في قوله تعالى: {قالوا تتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهليين}² وقوله أيضا: {خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهليين}³ .وفي معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي :

ألا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا⁴

والشعر الجاهلي هو أصل الشعر العربي ،فقد ارسى عمود الشعر وثبت نظام القصيدة وأوزانها كما يعتبر أسبق عن النثر وأكثر انتشارا منه وكان الجاهليون يميلون إليه أكثر من النثر نسبة لقدرتهم على الحفظ ،حيث كان في ذلك الوقت ديوان العرب فيه علمهم ومنتهى حكمهم وتفاصيل حياتهم و أساليب عيشهم ،فقد كان يحتل منزلة كبيرة في نفوس العرب فكانوا يهتمون به ويتميزون بشغفهم وتعلقهم به يؤثر كثيرا في نفوسهم وعواطفهم ومشاعرهم ،كان ترجمان النفس وبمثابة الفن الرفيع ،اقلوا عليه وحفظوه ورووه واهتموا به اهتماما فائقا ،فقد كان مرآة عاكسة لصورة ذلك العصر .

(1) الحياة في العصر الجاهلي :**أ - الحياة الفكرية والثقافية :**

في العصر الجاهلي لم يكن للعرب ثقافة واضحة، لكنهم على اتصال بالأمم الأخرى المجاورة والحضارات ، وتأثروا بها لكن تأثيرهم كان بسيطا كون العرب كانوا بدوا وحياتهم بدوية بسيطة يعيشون على رعي الإبل والأغنام، وكانت حياتهم قاسية جدا ،و كانوا كثيري التنقل عبر الصحراء ففرضت عليهم معرفة النجوم ومطالعها ، وحركة الرياح

(1) شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، دار المعارف ، القاهرة ، ج 1 ، ط 11 ، ص 39 .

(2) سورة البقرة الآية 20 .

(3) سورة الأعراف ، الآية 199.

(4) اميل بديع يعقوب، ديوان عمرو بن كلثوم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1991، ص 39.

وأوقات الأمطار ومواقعها ومعرفة أوقات الخصب والجذب ، ويوضح صاعد الأندلسي هذا الأمر فيقول : " وكان للعرب معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغايبها ، وعلم بأنواء الكواكب وأمطارها على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة لاحتياجهم إلى معرفة ذلك من أسباب المعيشة لاعن طريق تعلم الحقائق ولا على سبيل التدرّب في العلوم... "1.

وتحدث الجاحظ عن المعرفة العلمية للعرب في العصر الجاهلي فتحدث عن الأنواء ومواقع النجوم يقول : " وعرفوا الأنواء ونجوم الاهتداء ، لأن من كان بالصالح الأماليس - حيث لامارة ولاهادي مع حاجته إلى بعد الشقة - مضطرا إلى التماس ماينحيه ويؤديه، ولحاجته إلى الغيث، وفراره من الجذب وضنّه بالحياة اضطرتته الحاجة إلى تعرف شأن الغيث، ولأنه في كل حالة يرى السماء وما يجري فيها من كواكب ،ويرى التعاقب بينها والنجوم والثوابت فيها وما يسير منها قادرا وما يكون منها راجعا ومستقيما "2.

ويرى يحي الجبوري أن بعض القبائل العربية اشتهرت بمعرفة النجوم والأنواء " كقبيلة مرّة، وبني حارثة بن كلب، وكثر ذكر الكواكب في الشعر كالغرقدين والسماكين ، وبنات نعلش والشعري ، والجوزاء والعيوق وغيرها وكان نظرهم دقيقا ثاقبا في المطر والرياح ومهابها، والسحاب وأشكاله "3 .

ب- الحياة الاقتصادية :

مارس الجاهليون النشاط الزراعي والتجاري، فقد عرفوا الزراعة في الجنوب والشرق ووحدات الحجاز، وعرفوا التجارة بصورة واسعة "وعاش أهل مكة على التجارة إذ كانوا يحملون عروضها وسلعها بين حوضي المحيط الهندي والبحر المتوسط، وكانت قوافلهم تجوب الصحراء شمالا وجنوبا في طرق معلومة ... "4. وكانوا ينقلون في قوافلهم اللبان والطيب والبخور والجلود والثياب والتوابل الهندية والصمغ والعاج والقمح والزيوت، " فمكة في الجاهلية كانت مدينة تجارية عظيمة، وكان بها أكبر معابد العرب آنذاك ، فكانوا يحجّون إلى أصنامهم وأوثانهم فيها، وتقيم لهم قريش الأعياد

(1) صاعد الأندلسي ، طبقات الأمم ، بيروت ، لبنان ، د ط ، د ت ، ص 45.

(2) عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان ، تح : عبد السلام هارون ، مصر، ج6، ط2 ، ص 83 .

(3) يحي الجبوري ، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، لبنان ، ط 5، 1986 ، ص 96 .

(4) شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، ص 76 .

والأسواق كسوق عكاظ، وكانت أكبر أسواقهم "1. وكانت التجارة على أيدي اليمنيين "فعلى أيديهم كانت تنقل غلات حضر موت وظفار ،وواردات الهند إلى الشام ومصر، وكانت كثرة التجارة مع بلاد العرب الجنوبية تنقل إلى الشام ومصر عن طريق الحجاز "2. وقد كان للعرب العديد من الأسواق يذهبون إليها فيبيعون ويشتررون ومن أهم هذه الأسواق : " سوق دومة الجندل في شمال نجد وسوق خيبر وسوق الحيرة وسوق الحجر باليمامة وسوق صحرودبا بعمان وسوق المشقر بهجر وسوق الشحر وسوق حضر موت وسوق صنعاء وعدن ونجران ، وكان لكل سوق من هذه الأسواق وقت معلوم تعقد فيه "3. ووراء هذا المجتمع الذي يتبع التجارة والأسواق كانت فئة أخرى تعيش معيشة بدوية بسيطة، ولا يفضلون حياة أخرى غير حياتهم ويعتمدون على الصيد.

أما عن الصّناعة فقد عرفها العرب ومارسها ،لكنها كانت ممارسة ضيقة وقليلة خاصة في البادية ،فيقول الدكتور يحي الجبوري : " أود أن أنتهي من ذكر الصناعة لأنها ضيقة النطاق،ومحصورة في الحواضر والمدن ،و قليلا في البادية ، إن البادية كانت تنظر على الصناعة -نظرتها إلى الزّراعة - نظرة زراية واحتقار إن نفوسهم لتأبى الامتتان بها"4 و كانت نظرة البادية إلى الصّناعة تختلف عن نظرة الحاضرة، وأصنعهم أهل اليمن فقد صنعوا الأسلحة من سيوف ورماح ونسجت الثياب والصياغة ، أما البناء فلم يكن مشهورا عندهم ولم يتقدم فقد كانوا "يستعينون بعمال من الفرس والروم في تشييد أبنيتهم المهمة،كتجديد الكعبة أو توسيعها "5.

ج- الحياة الاجتماعية :

المجتمع الجاهلي في صورته العامة مجتمع قبلي كانت تتحكم فيه القبيلة وتوجه الأفراد، فتنفي الرؤية الفردية الذاتية، وتتألف القبيلة في العصر الجاهلي من ثلاث طبقات : الطبقة الأولى وهم أبناؤها وسادتها وهم أشرافها وأصحاب القرار فيها ،والطبقة

(1) المرجع السابق،76.

(2) يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، مكتبة الدراسات الأدبية ، ط3، ص 124 .

(3) شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، ص 77 .

(4) يحي الجبوري ، الشعر الجاهلي ، ص 79 .

(5) المرجع نفسه ، ص 80 .

الثانية فيطلق عليهم الموالي وهم عشقائها ، ويدخل فيهم الخلاء الذين خلعتهم قبائلهم وفتتهم عنها لكثرة جرائمهم ، والطبقة الثالثة هي طبقة العبيد وهم رفيقها المجلوب من البلاد الأجنبية المجاورة خاصة الحبشة.

ويتمتع العرب الجاهليون بالعديد من الخصال الحميدة أهمها خصلة الكرم كما اشتهروا بالكرم الفياض وكان يضرب بهم المثل في الكرم ، وكانوا لا يقدرون شيئاً كما يقدرون الوفاء، فإذا وعد أحدهم وعدا أوفى به ، كما أشادوا بحماية الجار ، فهم يمتدحون بإغاثة الملهوف وحماية الضعيف و العفو وكانوا ينكرون الهوان والضميم ، فهما السؤة الكبرى والمثلبة العظمى ، وكانت الشجاعة والفروسية تمثل منزلة كبيرة ، وكان سادتهم يمثلون هذه الخصال جميعاً في أقوى صورها ،مضيفين إليها حنكة وحكمة بالغة ،على أن هناك آفة كانت شائعة في هذا المجتمع الجاهلي أهمها القمار والخمر واستباحة النساء ، ونجد الخمرة تجري على كل لسان ،والشباب الذين يدمنوا عليها تنفر منهم قبيلتهم وقد تخلعه لما يتدنّى فيه من رذائل،واشتهر اللّهو والمجون،والاعتقاد الشّديد بالزّجر والطيرة تفاؤلاً وتشاؤماً وانتشرت السحرة والكهنة والعرافة ¹.

(2) مكانة المرأة في الجاهلية :

" لقد مرّ بنا أنّ المرأة كانت من متع الشباب في الجاهلية ،والمرأة هنا هي الفينة والجارية ،أما الحرّة فكانت لها منزلة رفيعة في نفوسهم فكانت تشارك الرجل في كثير من الأعمال ; تربي الأولاد وتخرج إلى القتال تضمد الجرحى وتغزل وتنسج ، ومنهنّ من تحترف تجميل النساء أو إرضاع الأطفال وتوليد النساء ،أو تقويم الرّماح ،ومنهنّ من تنسج الثّياب وتصلح الخيام وتطهي الطعام وتعمل في الحقل كما يعمل الرجل ، ومنهن من ترعى الماشية وتطلي الإبل الجرب وتحني الكمأة و تحلب اللّبن إلى غير ذلك من الأعمال والصناعات "2. وإذا وقعت حرب تذهب لتشجيع الرجال وتحميسهم وإثارتهم وتساندهم فتضمد الجرحى وتسقيهم الماء،كما كانت سببا في العديد من المعارك مثل أم عمرو بن وقدان التي طلب من الرجال أن يثأروا لأخيها وتحرضهم قائلة :

فإنّ انتم لم تطلبوا بأخيكم فذروا السّلاح ووحشوا بالابرق

(1) ينظر ، شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، ص 68 ، 69 ، 71 ، 72 .

(2) يحي الجبوري ، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، ص 72 .

وخذوا المكاحل والمساجد والبسوا نقب النساء، فبأس رهط المرهق¹

فالشعراء العرب الجاهليون اهتموا بالمرأة اهتماما بالغا وأعطوها عناية كبيرة فألهموا بها، وذكروها في شعرهم، وفتحوا بها مطالع قصائدهم بمخاطبتها ومناجاتها وكسبها والوقوف على ديارها، فهي الأم والزوجة والأخت والبنات والحببية والعشيقة.

فالشاعر العربي تغزل بالمرأة والمتأمل الشعر الجاهلي يلحح لونين في الحديث عن المرأة، اللون الأول يلتفت فيه الشاعر إلى الجانب الحسي من مفاتن المحبوبة، وفيه تكون المرأة وسيلة لهو وتسلية ومتعة، أما اللون الثاني يتحدث فيه عن طيف المحبوبة ووصف أثر فراقها ومناجاتها، فالمحبة هي الحياة.

وكان الشاعر الجاهلي يعبر عن حبه للمرأة والإعجاب بجمالها محاولا جعل محبوبته أجمل النساء وأكثرهن سحرا وتأثيرا، ويرى الأستاذ الدكتور عز الدين إسماعيل: "أنّ العربي القديم لم يفكر في الجمال، وإن كان قد انفعّل بصورة، وهو لم ينفعّل بكل صوره، بل انفعّل بصورة الحسية خاصة ما استقبل بالعين فكان رائقا، أو بالفم فكان لذيذا، أو باليد فكان ناعما، وهذا يجعلنا ننتبه إلى أن العرب منذ اللحظة الأولى كانت نزعتهم حسية في تذوق الجمال"².

وقد رسم الشاعر للمرأة صورة تدلّ على قوتها وقدرتها على سلب عقل الرجل، وأن للمرأة جميل على الرجل فقد وهبته العديد من المزايا والهبات، فيقول الدكتور عبد العزيز نبوي: "منح الشاعر الجاهلي المرأة قوة خارقة، تسلب الرجل العاقل عقله، فلقد وجد الشاعر المرأة تهب الرجل الذرية والمتعة وتحقق له حياة سهلة، ووجد لها سحرا عجز المجتمع أحيانا عن تفسيره فأضافوا إلى المرأة سحر الكواكب وجمالها، ونضارة النباتات والزهر وألوانه، وأصبحت المرأة بالنسبة للرجل فردوسه الأعلى فالمرأة عند الأعشى:

تهالك حتى تبطر المرء عقله وتصيب الحليم ذا الحجى بالنقتيل

في مشيتها تتمايل وتظهر مفاتنها وتذهب عقل الرجل و تأثيرها فيه.

(1) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، دت، دط. ص 33.

(2) ينظر، عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 3، 2004، ص 184.

ويقول طرفة في تأثيرها على عقله :

وقد ذهبت سلمى بعقلك كله فهل غير صيد أحرزته حبائله "1.

وفي صورة أخرى نجد أن مكانة الرجل أفضل من مكانة المرأة، وأن العرب تميل إلى الرجل دون الأنثى ، وأن المرأة عبئ على المجتمع، حيث يقول يحي الجبوري: "ومهما يكن من شيء فإنّ مكانة المرأة في المجتمع الجاهلي -وفي غير الجاهلي- دون مكانة الرجل بكثير ،والعرب تحب الذكور لأنهم جنود القبيلة ورجالها الحماة أما المرأة فلا تعني في الحرب شيئاً،بل تكون عبئاً على القبيلة لأنها مقصد الأعداء يريدونها سبية، وسبي المرأة عندهم عار لايسكت عليه، ولا يقعد دونه، إلا الوغد الذليل "2.

وكان لديهم العديد من العادات البغيضة التي تمس حق الأنثى، فقد كانت تقتل أو تدفن حية خوفاً من أن تجلب لهم العار، وليس أدل على بغضهم للإناث من قوله تعالى: { وَإِذَا بَشَّرْ أَحدهم بِالْأُنثَى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشّر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب إلا سار ما يحكمون}3. وكانوا يفرّقون بين المرأة الحرّة والأمة " أمّا الأمة فهي دون الحرّة منزلة ، أو أكثر من الإماء من السبيّ أو الرقيق ،ومنهنّ القيان والجواري اللواتي يكثرن في حوانيت الخمارين ،وكنّ متعة السكارى والفساق من أصحاب اللّهُو و المجون "4.

(1) المرجع نفسه ، ص 200.

(2) يحي الجبوري ، الشعر الجاهلي ، ص 73.

(3) سورة النحل، الآية 58 ، 59 .

(4) يحي الجبوري ، الشعر الجاهلي ، ص 74.

الفصل الأول : الصعكة والصعاليك

- 1- تعريف الصعكة
- 2- تعريف الصعاليك
- 3- أسباب الصعكة
- 4- الإطار السياسي والاجتماعي والاقتصادي للصعاليك
- 5- موضوعات شعر الصعاليك
- 6- نبذة عن بعض الصعاليك

1) تعريف الصعلكة :**أ) الصعلكة لغويا :**

جاء مفهوم الصعلكة في قول " ابن سيده " في المحكم والمحيط الأعظم :
 "والصعلوك : الذي لا مال له ، وقد تصعلك . قال حاتم طيء :
 غنينا زمانا بالتصعلك والغنى ، فكلا سقانا بكأسيهما الدهر
 وتصعلكت الإبل : خرجت أوبارها و انجردت.
 ورجل مصعلك الرأس مدوره .
 وصعلك الثريدة : جعل لها رأسا ، وقيل : رفع رأسها "1.

وجاء مفهوم الصعلكة في معجم "الصاحح" للجوهري : " الصعلوك : الفقير . وصعاليك
 العرب : ذؤبانها .و كان عروة بن الورد يسمى عروة الصعاليك: لأنه كان يجمع الفقراء في
 حظيرة فيرزقهم مما يغنمه. و التصعلك: الفقر ، قال الشاعر:
 غنينا زمانا بالتصعلك والغنى
 ويقال تصعلكت الإبل: إذا طرحت أوبارها "2.

وصاحب لسان العرب يعرف الصعلكة بقوله : "الصعلوك : الفقير الذي لا مال له ، زاد
 الأزهري ولا اعتماد ،وقد تصعلك الرجل إذا كان كذلك و تصعلكت الإبل خرجت أوبارها
 وانجردت وطرحتها، ورجل مصعلك الرأس مدوره. ورجل مصعلك الرأس صغيره .
 والتصعلك: الفقر،وصعاليك العرب ذؤبانها،وكان عروة بن الورد يسمى عروة
 الصعاليك ،لأنه كان يجع الفقراء في حظيرة فيرزقهم مما يغنمه"3 .
 ومن خلال تعاريف المعاجم اللغوية لمادة "صعلك" نلاحظ أنهم لم يختلفوا
 كثيرا في ضبط مفهوم الصعلكة ، إذ أن أغلبهم حصرها في خانة الفقر،و الفقر هو

(1) ابن سيده ، المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ،منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب
 العلمية ، بيروت- لبنان ، ط1 ، ج2 ، سنة 2000 ، ص416.

(2) الجوهري : تاج اللغة وصحاح العربية ، تح: أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين ،بيروت - لبنان ، ط4،
 1990، ص 1596.

(3) ابن منظور: لسان العرب، شرح وتصحيح: أمين محمد عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي،
 بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة 1999. ج السابع. ص 356.

تجرد الإنسان من الغنى ، وكان الصعاليك يلجئون إلى عروة من الورد لمساعدتهم وهو أيضا كان فقيرا مثلهم .

(ب) الصعلكة اصطلاحيا:

الصعاليك هم طائفة لهم شعرائها وزعمائها وأسيادها، وجاءت العديد من الأبحاث والدراسات لتوثيق حياتهم في مختلف العصور عن طريق الاستشهاد بالشعر،" الصعلكة ليست ، طارئة على الحياة الاجتماعية و إنما ولدت بشكل طبيعي لتعبر عن التناقض الكامن في المجتمع العربي و تنبئ عن تردي الواقع، اجتماعيا و اقتصاديا و سياسيا إذ انقسم المجتمع على طبقات اجتماعية فنتج عن انقسامه على طبقتين اقتصاديتين طبقة تملك الأموال و هي المسيطرة على مظاهر الحياة بكل أنواعها و أشكالها و أخرى فقيرة معدمة تعيش على هامش الحياة، كما أسهم البناء الاجتماعي في تعميق الفوارق الحادة في طبقات المجتمع مما دفع إلى ظهور الصعلكة بوضعها ظاهرة اجتماعية جديرة بالدرس و التأمل"¹ ، و هذه الظاهرة تولدت من عدم قدرة الفرد من معاشة نظام القبيلة وقوانينها وأنظمتها " لذا تميز شعر الصعاليك بالتعبير عن الأنا و تتجلى ملامحها واضحة إزاء لنحنا المتمثلة في القبيلة شعور بالاعتلاء و التفاخر بالخصائص الفردية"².

(2) تعريف الصعاليك:

نعرف أن الصعاليك هم الفقراء " لكن في هذا الاتجاه الثوري لم يكونوا فقراء فقط بل كانوا فقراء أقوياء، شجعان ذوي حس مرهف و أدراك لما بينهم و بين الأغنياء من فوارق، جعلتهم يدركون ألمهم النابع من خلاء أيديهم من المال و عجزهم عن الحياة التي يشتهون"³.

كان الصعاليك يبحثون عن المال والأكل " فسارو على النظام المالي فغنموا بالقوة ما قد حرموه و استراحوا إلا أنهم يتأثرون من الأغنياء البخلاء

(1) ضياء غني لفتة ،البنية السردية في شعر الصعاليك ، دار حامد للنشر و التوزيع ، 2010 ، ط1 ، ص17.

(2) المرجع نفسه، ص 19.

(3) أسماء أبو بكر محمد ،ديوان عروة بن الورد ،أمير الصعاليك منشورات محمد علي بيضون ،دار الكتب العلمية ،بيروت

لبنان ، د ط ، ص34.

في مجتمع لا تحميه شرطة و لا يخضع لقانون و لا يلجئ إلى محاكم منظمة و إشتهرو منهم في الجاهلية: " عروة ابن الورد "، " تأبط شرا "، " الشنفرى " و " السليك ابن السلكة " و " عمر ابن براقه " و في الإسلام "الأحمر السعدي " و غيرهم عرفوا جميعا بسرعة الحركة و الخفة و العدو و الخبرة بدروب الصحراء وقد كان الصعاليك شجعانا مغامرين لا يبالون بالأهوال و المخاطر ¹.

(3) أسباب الصعلكة :

لكل ظاهرة في أي زمان و مكان عوامل وأسباب ودوافع أدت إلى ظهورها، كذلك الحال عند الصعلكة فهي لم تأتي من فراغ فهناك دواعي وعوامل ساعدت في ظهورها ، وأهم هذه الأسباب :

(أ) الجوع والفقر:

الفقر أسوء المعضلات التي واجهتها و تواجهها البشرية قديما و حديثا وهي مولدة آثار شتى منها الثورة و الجوع و الموت و التخلف و غير ذلك و ما طرق الفقر دارا إلا وأهلكها وال مجتمعا إلا و شنته و لا أمة إلا و عرّضها إلى شتى أنواع المعاناة و الفقر ². فالفقر وقلة الموارد البشرية من أسباب الصعلكة " يعتمد أهلها على الماشية التي يرعونها و ، فيأكلون من لحومها، ويشربون ألبانها، ويلبسون من أصوافها و أوبارها، فهم رعاة تتقلب حياتهم من حيث الفقر والغنى تبعا لظروف الحياة القاسية من حولهم ن فالرعي يبقى دائما رهين أحوال الطقس ونزول المطر، فالفقر كان دائما سببا بارزا ومهما في ظهور هذه الظاهرة في العصر الجاهلي، يقول عروة بن الورد :

دَعِنِي لِلغنى أَسعى فَأَيّ	رَأَيْتِ النَّاسَ شَرُّهم الْفَقِير
وأبعدهم وأهونهم عليهم	وإن أمسى له حسب وخير
ويقصيه الندى ونزديه	حليلته وينهره الصغير
ويلقى ذا الغنى له جلال	يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جم	ولكن للغنى رب غفور ³ .

(1) الديوان، ص 35.

(2) حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك، ج1، رشاد بوسي طبع في لبنان د/ط ص169.

(3) الديوان، ص 79.

فعروة يرى أن المجتمع متعسف، يحتقر الفقير لأنه فقير، ويقدر الغني لأنه غني، وأيقن أنه لا حياة للفقير في مجتمع يجلب الأغنياء ويهين الفقراء ، فأعلن ثورته على الأغنياء، "وهذا السليك يصور لنا فقره ومالحق به من جوع حتى أنه إذا قام لحاجة أخذه الدوار وتراءت له الخيالات والأطياف ، حيث يقول :

و مانلتها حتى تصعلكت حقبة وكدت لأسباب المنية أعرف

وحتى رأيت الجوع بالصيف ضربي إذا قمت تغشاني ظلال فأسدف¹

فمن الأسباب التي دفعته إلى الغزو و الإغارة هي الفقر والجوع ، فنجده يصرح بأن الفقر أحد أسباب الصعلكة يقول :

أشاب الرأس أني كل يوم أرى لي خالة وسط الرحال

يشق علي أن يلقين ضيما ويعجز عن تخليصهن مالي².

وفي صراع الصعاليك للحرمان والجوع ومواجهتهم له نجد أنه "قد بلغ الفقر بتأبط شرا أنه بات لا يملك من الزاد إلا تعله تحول بينه وبين الموت حتى هزل و نحل و بانث أضلاعه من الضعف الشديد و التصقت أمعاؤه ببعضها من شدة الجوع، حيث يقول:

قليل ادّخار الزّاد إلا تع فقد نشز الشرسوف والتصق المعا³.

و في سبيل سد الجوع و محاربة الفقر يندفع عروة بن الورد إلى مواجهة المخاطر و الشدائد غير آبه حيث يقول:

ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرّح⁴.

(ب) الظلم:

يعد الظلم أحد أسباب الصعلكة وأول ظلم تعرض له كان من طرف قبيلته" فمن خلال معيشة الصعلوك و ما عنده داخل المجتمع من ظلم بيداء برفض التشكيل

(1) سعدي الضنادي ، ديوان السليك دار الكتاب العربي ، 1994، ص 84.

(2) المرجع نفسه ، ص 89 .

(3) حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك، ص 170.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الاجتماعي لمجتمعه و يقوم بالثورة عليه و يبحث عن تشكيل جديد يتناسب مع رؤيته و يتخذ من الحيوانات المفترسة و الصحاري القاحلة مجتمعه الذي فضله، يقول الشنفرى:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل
فقد حمت الحاجات والليل مقمر وشدت لطيات مطايا وأرحل
وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متعزل
ويقول :

ولي دونكم أهلون :سيّد عملس وأرقط زهلول وعرفاء جينل "1.

فالشنفرى استبدل أهله بالحيوانات فاتخذ من الذئب والنمر والضبع أهلا له، والصعاليك بتصلعكم أرادوا رفض كل أنواع الظلم والاستبداد والذل الممارس ضدهم، غير قابلين حياة الذل والهوان والاحتقار والإهانة، فهم يتحملون معيشة الجوع والفقر بكرامة ولا حياة الذل و الإهانة، " وبذلك فالصعاليك يقدمون نموذجا للإنسان الذي يرفض الذل والهوان يعمل أي شيء في سبيل أن يحقق لنفسه المرخاة، كتحمل ألم الجوع يقول السليك بن السلكة:

وما نلتها حتى تصلعت حغبة وكدت لأسباب المنية أعرف
وحتى رأيت الجوع بالصيف ضربي إذا قمت تغشا في ظلال فأسدف"2.
ج) النظام السياسي:

كان للقبائل العربية في العصر الجاهلي نظاما سياسيا يحكمها يعد بمثابة دستور ينظم حياة الأفراد يرسم لهم واجباتهم ويحدد حقوقهم وهذا النظام " يقوم على أساس العصبية التي تعدها من نصوص الدستور و عند تدقيقنا للنظر نجد الصعاليك لا يعرضون على هذا الدستور أو هذا النظام السياسي، فإن الحروب هي شريعتهم حتى و لم تكن للنصب و السلب و الاغتنام. بل إن الصعلكة حدثت لأسباب قد تكون قريبة من هذه العوامل التي أدت إلى الحروب ،وقد نجد لها مبررات قد تكون مقبولة بصورة منطقية و قد

(1) حسين عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي فنون نصوص، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، ط2 ، 2003، ص165.

(2) المرجع نفسه، ص 166، 167.

لا تكون كذلك و لكن لكل حالة أسبابها و مبرراتها ،وكل إنسان من حقه أن يعيش كريما في موطنه ولكن هذا ليس سببا يدعو إلى الثورة و التمرد و لا يعد مبدأ الخروج كل ذي طموح زائد على مجتمعه كما هو موجود عند بعض الصعاليك لأنه ليس كل ما صدر عن الصعاليك صحيح "1.

وكان الصعاليك يسعون إلى رفع الظلم والاستبداد، " فالصعلوك بصفة عامة ينشد الحرية و يسعى إلى تحقيق لون من العدالة الاجتماعية فيغير و يسلب لبعض الفقراء فيسمع شاعرهم عروة بن الورد يقول :

أقسّم جسمي في جسوم كثيرة وأحسوا قراح الماء والماء بارد "2.

و هو في سبيل تحقيق هذه الغاية يؤمن بفكرة الفناء في سبيل المبدأ، و ما قيمة الحياة إذا عاش الإنسان فقيرا محتقرا أو منبوذا من مجتمعه مجوفا من أقاربه، إن الموت في هذه الحالة خير من الحياة نجده يقول :

فقلت له أن لا أحي وأنت حرٌ ستشيع في حياتك أو تموت "3

وهذا تأبط شرا يتمرد على القبيلة وأعرافها محاولا فرض رؤيته عليها و إلا في الأرض الواسعة ملاذا وملجأ له، فيقول:

إنّي زعيم لئن لم تتركوا عدلي أن يسأل الحي عي أهل آفاق

أم يسأل القوم عني أهل معرفة فلا يخبرهم عن ثابت لاقى

لتقرّ عنّ على السنّ من ندم إذا تذكرت يوما بعض أخلاقي⁴

وهكذا نجد نزعة التحرر من السلطة والنفور منها شائعة في شعر الصعاليك ، وبمعنى ذلك أن السلطة و الصعلكة – الحقيقة المتمكنة – لا يتفقان فقد وجدت أو بمعنى أصح شاعت الصعلكة

(1) غازي طليمان، عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، قضاياها، أغراضها، أعلامها، فنونها، دار الإرشاد، حمص، ط1، ، 1992ص115، 120.

(2) المرجع السابق، ص 121.

(3) سامي يوسف أبو زيد، منذر ذيب كفاقي، الأدب الجاهلي، دار السيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ط1، 2011 ، ص229 .

(4) عبد الرحمان المصطادي، ديوان تأبط شرا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2006 ، ص63.

لعد وجود هذه السلطة ، ومفهوم ذلك أنه حيث توجد هذه السلطة لا توجد صعلكة ولو كظاهرة اجتماعية وهذا لا ينفي وجودها كحالة فردية ، فإن الشذوذ لا يخلو منه مجتمع، وهذه الحقيقة فهي التي نهدف إلى الوصول إليها ، فإن عدم وجود هذه السلطة في المجتمع الجاهلي كان من الأسباب الأساسية في وجود الصعلكة كظاهرة 1.

د- النظام المالي:

كان وجود الفقر المدقع والغنى الفاحش الذي جعل من الغني سيّدا ومن الفقير عبدا سببا للصعلكة ، " فيرفض عروة بن الورد أن يكون الثراء أساسا للسيادة، وهو بذلك يرفض منطق المجتمع الذي يعيش فيه ، ويمثّل بذلك ككل هذا المبدأ فيقول :

ما بالثراء يسود كلّ مسودّ مثر ولكن بالفعال يسود
بل لا أكأثر صاحبي في يسر هو أصدّ إذ فيعيشه تجريد
فإذا غنيت فأن جاري نيلهن نائي و ميسري معهود
وإذا افتقرت، فلن أرى متخشعا لأخي غنى معروفة مكدود " 2

فعروة يرفض أن تعلق مكانة الغني فوق مكانة الفقير ، ويريد أن يغير نظرة المجتمع المنحطة تجاه الفقير المعدوم لكنها صعبة ، " فهم بذلك يرفضون هذا الواقع لما فيه من مفارقات و عنصرية و كما فيه من قسوة ، فالمرء في نظرهم إن لم يكن يملك مواشي فهو لا يلقى من أي أحد عطف و إحسان و حتى من أهله و بذلك فإن الموت خير له من الحياة الذليلة ، يقول عروة بن الورد :

إذا المرء لم يبعث سواما ولم يرح عليه ولم تعطف عليه أقاربه
فللموت خير للفتى من حياته فقيرا ومن مولى تدبّ عقاربه " 3

فالفقر يجعل الحياة بدون معنى ويشعر الإنسان بالذل والضعف والاحتقار " فهو كما صورته لنا عروة بن الورد كوحش ذو أنياب فما أقسى حديثه على لسان زوجته، حيث قال:

(1) ينظر، عبد الحليم حفني، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، الهيئة البشرية العامة للكتاب، دط، 1998، ص46.

(2) غازي ظليمات ، الأدب الجاهلي ، ص 184 ، 185.

(3) المرجع نفسه، ص 175 ، 176.

قالت تماضر إذ رأت مالي خوى وجفا الأقارب فالفؤاد قريح
مالي رأيته في الندى منكسا و صبا كأنك في الندى نطيح
خطر في نفسك كي تصيب غنيمة إن القعود مع العيال قبيح
المال فيه مهابة و تجلته والفقر فيه مذلة و فضوح

وهنا يتضح أثر المرأة المباشر في الصعلكة والتمرد على الواقع، فهي تواجه الحقيقة مع زوجها على أن للغنى فيه مكانة وأن الفقر فيه مذلة كما تدعوه إلى المخاطرة بنفسه للحصول على المال و تدم التعود مع العيال فهي بذلك تجعل منه متمردا يحطم كل تلك الأسوار و يجعله يناضل ليحقق مكانة له¹.

4) الإطار الاجتماعي و السياسي والفكري لعصر الصعاليك :

كانت حركة الصعاليك ثورة اجتماعية في جزيرة العرب ; حيث وجدت القبائل الراضية لهؤلاء الصعاليك ، مما أدى بهم إلى العيش بمعزل عن قبائلهم ، فرفضوا نظامهم وتمردوا عليها وأقاموا الفتن والإغارة على تلك القبائل ، وقطعوا الطريق على القوافل وتجريدها من أموالها بين الصحراء والجبال ، ويمكن تقسيم الصعاليك على ثلاث طوائف مختلفة تتألف منها عصاباتهم :

- 1) قسم منهم يشمل الخلاء والشذاذ : وهذا القسم يشمل طائفة من الشعراء الذين قاتلوا قبائلهم ، واضطرت قبائلهم إلى رفضهم وخلعهم.
- 2) قسم يشمل طائفة من الشعراء الأخرية : وهم العبيد السود المنسوبون إلى أمهاتهم .
- 3) قسم شمل طائفة من الشعراء الصعاليك الفقراء المتمردين على الأوضاع التي فرضتها الأحوال الاجتماعية².

وتجتمع هؤلاء الطوائف من الصعاليك ويتقاسمون الفقر المهين والفاقة والظلم والاستبداد، وحالة الرفض والنفي والطرده من القبيلة ، فكانوا كالذئاب الجياع الذين من الجبال والوهاد والغارات والكهوف مسكننا لهم ،وقد صور يوسف خليف حياة هؤلاء الشعراء الصعاليك المنبوذين اجتماعيا ورأى أنهم خرجوا على حياة نظام القبيلة ، وتجردوا من كل

(1) المرجع السابق، ص 176 ، 177.

(2) ينظر ، يوسف خليف الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ص 57 ، 58.

وسائلهم المشروعة ، فلم يجدوا أمامهم سوى هذه الحياة الشاقة المهينة الذليلة التي يعيشونها على هامش المجتمع في أطرافه البعيدة المترامية¹

من هنا أصبح هدف الصعاليك هو طلب الحرب و الإغارة على الإبل في سائر القبائل ; ذلك أن حياتهم أصبحت حرة تعتمد على النهب والسلب والمطاردة بعدما كانوا يعيشون في القبيلة حياة الفقر والهوان والتهميش، إضافة إلى أنهم اعتمدوا على كسر طوق الانتماء إلى قبائلهم فقطعوا رابط القرابة بينهم وبين قبائلهم معتقدين أنهم يستطيعون بناء نظام اجتماعي جديد يمثلهم.

ويذكر عبد الحليم الحنفي أن الشعراء الصعاليك أسلوب واحد معين ، وإن اشتركوا جميعا في العدوانية والظلم والتآمر " لذلك تعددت وسائل مزاولتها [الصعلكة] واختلفت باختلاف استعداد الصعلوك، وإمكانياته الذاتية، فإن كل صعلوك إنما يزاول ما يناسب إمكانياته القوة والاستعداد فيه واختلفت-أيضا- باختلاف الظروف التي تسمح للصعلوك مزاوله صعلكته² ."

والذي لا ريب فيه أن الصعاليك عاشوا في مفعم بالقلق والخوف وعدم والاستقرار; فقد كانوا مطاردين بسبب الجرائم التي ارتكبوها ; فهم لا يتمتعون براحة ولا يرتاحون، ولا يركنون لنوم هادئ، بل قد لا ينامون، وحتى إن ناموا فإن أعين الملاحقين و الرقباء تراقبهم ، لتوقع بهم وقد عبر عن هذا المعنى الشنفرى بقوله:

**طريد جنایات تياسرن لحمه عقيرته لأبيها حمّ أول
تبيت إذا ما نام يقظى عيونها خثا إلى مكروهة تتغلغل³**

وقد تحدث عبد الحليم حنفي عن الصراع الذي كان ينتاب الشعراء الصعاليك ، ويساور نفوسهم من هموم ومحن ومعانات وألام ، فيقول: " والواقع أن ذلك لا ينفي وجود المهموم ، ولا يتعارض مع كون المهموم تمثل جانبا بارزا في حياة الصعاليك ، بل يمكن اعتبار بعضه من الأسباب المهمة في سيطرة المهموم على نفوس الصعاليك، فهذه القوة التي وهبوا إياها في نفوس عامل من عوامل الهم والانقباض، ومن

(1) ينظر المرجع السابق، ص 33 وما بعدها .

(2) عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك، مهجه وخصائصه، ص 90 .

(3) ينظر، ديوان الشنفرى ، تح : اميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1991 ، ص68 .

المعروف أن أقرب النفوس إلى القلق والهموم والانقباض هي النفوس القوية، سواء كانت قوية في تفكيرها، أو آمالها أو مقوماتها الأخرى؛ لأن هذه القوة تفتح أمام صاحبها أبوابا كثيرة من الإدراك، وأبوابا كثيرة الآمال والأهداف، وأبوابا أخرى من الإحساس بأشياء قد لا يحس بها غيرهم ومن التفكير فيها "1.

فهذه النفوس المهمومة القلقة تسعى على تحقيق أهدافها وبلوغ غاياتها، وهذا يحتاج إلى قوة كبيرة تدفع صاحبها إلى فعل أي شيء لبلوغ أي شيء وتحقيق أي هدف أو غاية مهما كلفه الأمر، وهذا هو الشأن عند الشعراء الصعاليك.

والشعراء الصعاليك كانوا يمثلون طائفة متمردة على نظام القبيلة وسلطتها والخارجين عن نظامها وعاداتها وتقاليدها وقوانينها، وبعثهم باللصوص نوع من التجني عليهم والغلو ومجافاة الحقيقة لأن الكثير منهم لم يكن كذلك؛ لأن هناك من انضم إليهم لأسباب سياسية أو اجتماعية.

(5) موضوعات شعر الصعاليك:

1- المغامرات و الحروب :

مادام صعاليك العرب اتخذوا من النهب والإغارة أسلوب حياتهم فمن الطبيعي "أن يكون أكبر ما يعني به شعرائهم أحاديث مغامراتهم، لأن هذه المغامرات هي الحرفة التي قامت عليها حياتهم، وهم يصفون كل ما يحدث في هذه المغامرات منذ أن تأخذ جماعة الصعاليك في وضع خططها إلى أن تنتهي الغارة"2.

2- سرعة العدو والفرار:

عرف الصعاليك بالجري والخفة وسرعة العدو الخارقة للعادة حتى أنهم كانوا يعرفون بالعدائين،" كأنما أصبحت سرعة العدو ظاهرة مميزة لهم، وصفة ملازمة يعرفون بها، والمثل يعرف بجماعة منهم في سرعة العدو فيقال: أعدى من الشنفرى و أعدى من السليك و وأمضى من سليك المقانب، وتصفهم

(1) عبد الحليم حفني ، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ، ص 291.

(2) يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 182.

مصادر الأدب العربي بأنهم أشد الناس عدواً أو أنهم لا يجارون عدواً أو لا يلحقون أو يعدون عدواً يسبقون به الخيل أو لا تعلق بهم الخيل، أو لم تلحقهم الخيل"¹.

وكان الصعاليك يتحدثون في شعرهم عن سرعتهم ويعتزون بها ويتحدثون عنها بفخر كبير" إذ يرون فيها ميزة تفردوا بها من بين سائر البشر، ووسيلة تعينهم على الحياة، وتيسر لهم سبل النجاة، يقول تآبط شرا مفتخرا بسرعته التي أنجته من أعدائه وما أرسلوه خلفه من خيل سريعة:

ليلة صاحوا وأغروا بي سراهم باليعكتين لدى معدى ابن براق

كأنما حثثوا حصا قوادمه أو أم خشف بذى شث و طباق

لا شيء أسرع مني، ليس ذا عذر بواله من قببيض الشد غيداق"²

و في لامية العرب صورة أيضا لسرعة الصعلوك حيث أننا نرى أنه يسبق القطا الضامنة وهي تسرع في ذهابها لشرب الماء، فيقول:

وتشرب أسارى القطا الكدر بعدما سرت قريبا أحشاؤها تتصلصل

هممت وهمت، وابتدرنا وأسدللت وشمر مني فارط متمهل

فوليت عنها وهي تكبو لعقره يباشره منها ذقون و حوصل³

فالصعاليك كانوا يمتازون بسرعة العدو خارقة جدا سجلها الرواة وضرب بها الناس أمثالهم و استخدمها الشعراء في رسم صورهم الفنية.

3- وصف السلاح :

كانت حياة الصعاليك قائمة على الحروب والإغارة و السطو و النهب و المعارك، فكان من الطبيعي أن يعتمد الصعاليك في إغارتهم و حروبهم على السلاح ليدافعوا به عن أنفسهم و الدفاع عن غاراتهم و حمايتهم و للتصدي لأعدائهم، " لأن الشجاعة أو القوة أو غيها من الصفات التي كانوا يمتازون بها لا تكفي وحدها في تلك البادية الفوضوية التي لا يستطيع إنسان أن يعيش فيها ما لم يكن مزودا بسيف أو قوس...، ووصفوا في شعرهم كل ما كانوا

(1) المرجع السابق، ص 42، 43.

(2) المرجع نفسه، ص 44، 45.

(3) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة ص49.

يستخدمونه منه، وتحدثوا عن قيمته لهم في غزواتهم، بل في حياتهم كلها، فقد كانوا يرون فيه أهم شيء في حياتهم، وأعلى ما يملكون فيها، وما يخلفونه بعدها، فعمرو بن براءة يذكر أن سيفه هو جل ماله¹، وعروة يذكر أنه لن يخلف بعد موته سوى سيف و رمح و درع و مغفر و جواد:

وذي أمل يرجو ترائي، وإن ما يصير له منه غدا لقليل
ومالي مال غير درع، و مغفر وأبيض من ماء الحديد صقيل
وأسمر خطى القناة مثقف وأجرد عريان السراة طويل²
4- وصف الحيوان :

هجر الصعاليك قبائلهم وتمردوا عليها وكونوا مجتمعا خاصا بهم واتخذوا من السطو والإغارة أسلوبا لمعيشتهم، و تشردوا في الصحراء وعاشوا مع الحيوانات، فكان من الطبيعي أن يجعل التشرد من الصعاليك قريبي الصلة بالحيوانات استطاعوا أن يعرفوا طباعهم وعاداتهم و استبدلوا تلك الحيوانات بأهلهم، " و في شعرهم صور كثيرة لحيوان الصحراء ووحشها و طيرها وحشراتهما وما يخيل للساري فيها من أشباح، كذلك الوصف الدقيق للضباع وحياتها و طباعها في شعر الأعم الهذلي و كتلك الصورة الرائعة للذئاب الجائعة في لامية العرب و كتلك الصور المتعددة للغيلان و ما يجري للإنسان معها في شعر تأبط شرا .

ولعل أقوى ما صور به هذا التشرد صورة عند تأبط شرا والأخرى في لامية العرب، فكلا الصعلوكين مفارق مجتمعه النظامي حيث يعيش البشر، إلى أعماق الصحراء البعيدة حيث يعيش الوحش، أما تأبط شرا فقد ألفتة الوحش لطول ما عاش بينها مسالما لها، وأما صعلوك اللامية فقد وجد في ضواري الصحراء أهلا له، يستعوض بها عن أهله من البشر، و يجد بينها الأمن و الطمأنينة³. فالصعاليك اهتموا بتصوير حيوان الصحراء في شعرهم وتصوير حياتهم إلى جانبهم.

5- وصف الصحراء :

(1) يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، 53،54.

(2) الديوان، ص207.

(3) يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 55.

خرج الصعاليك إلى الصحراء مرغمين مكرهين باحثين عن كرامتهم وعن الدفء الذي حرمتهم منه قبائلهم، ونتيجة للتشرد عاش الصعاليك في الصحراء وأحبوها و تآلفوا معها، فحرصوا على وصفها ونقل مشاهدتها " فأصبح الصعاليك على علم واسع بأسرارها، ومعرفة دقيقة بشعابها ودروبها ومسالكها ومياهاها، ومقدرة فائقة على الاهتداء في مجاهلها، واخترق متاهاتها المضلة دون دليل "1.

وتصوير الصعاليك للصحراء و مناقبها كثير في شعر ولعل أقوى تلك المشاهد تلك التي صورتها لامية العرب:

وخرق كظهر الترس قفر قطعه	بعاملتين، ظهره ليس يعمل
وأحرق أولاه بأخراه موفيا	على قنة ألقى مرارا و أمثل
ترود الأراوي الصحم حولي كأنها	عذارى عليهن الملاء المذيل
ويركدن بالآصال حولي كأنني	من العصم أدفى ينتهي الكيح أعقل

فالشاعر في هذه الأبيات يصف الصعلوك بأنه يخترق الصحراء النائبة الخالية التي لا يطرقها أحد، معتمدا في اختراقها على رجليه القويتين السريعتين، حتى يصل إلى منازل الوعول البعيدة التي لم تعد تتكره، لكثرة ما خالطها حتى كأنه واحد منها 2.

" كما نرى في تلك الأبيات الرائية التي يرويها الأصمعي لتأبط شترا، والتي يتحدث فيها عن اهتدائه إلى شعب في أعماق الصحراء المجهولة بصعاليكه دون أن يهديه إليه دليل أو يصفه له خبير " 3.

(5) نبذة عن أشهر الشعراء الصعاليك :

أ- تأبط شرراً :

(1) المرجع نفسه، ص 56.

(2) ينظر، يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 58.

(3) أبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، الأصمعيات، تح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، ص 35.

هو أبو زهير ثابت بن سفيان ، من قبيلة فهم ، وقال ابن قتيبة : " هو ثابت بن عملس ، وقال الأصبغي : هو ثابت بن جابر ، وأنشد :
ويل أم طرف قتلوا برحمان بثابت بن جابر بن سفيان
وهو من فهم، وفهم وعلوان إخوان "1، ويذكر الأصفهاني: " وهو من أغربة العرب، إذ كانت أمه حبشية سوداء، وقيل أن أمه حرّة من فهم تسمى أميمة وتأبط شرا لقب له " 2.

أما حياته فقد اتسمت " بقليل من الإضرابات جعلت منه شخصا متمردا على واقعه تأثر على نفسه حتى ألفيناه صعلوكا فاتكا يتقن مهارات عديدة في هذا الميدان ، عاش شاعرا حياته مملوءة بالقتال والغزو والمجازفات إلى جانب عدة من الرفقاء مثل : عروة بن الورد ، عمرو بن براق السليك بن السلكة ، الشنفرى فأوتي بذلك صفات الصعلكة بحيث لا نجد له نظيرا في ذلك إلا الشنفرى فقد كان فتاك من أغربة العرب الأضراس وعلى الرغم من ضآلة حجمه ، إلا أنه كان عداء لا نظير له ، يسابق الخيل وبه يضرب المثل بالسرعة إذا كان اعدى ذي ساقين "3.
وقد مات أباه وهو صغير فتزوجت أمه من الصعلوك أبي كبير الهذلي وكانت حياة تأبط شرا صعبة بعد موت أبيه وزواج أمه بأبي بكر الهذلي الذي عرف الشر في وجه الغلام واستراب من أمره لأن أبا كبير الهذلي كان يكثر الدخول على أمه ، ويظهر أن أم تأبط شرا لم تكن حريصة على غلامها الصغير المنكود بقدر حرصها على أبي كبير الهذلي.

وله شعر جيّد ، فمن جيّد شعره قوله :

يا من لعاذلة خذّالة نشيب خرقت باللّوم جلدي أي تخراق
تقول: أهلكت مالا لو ضننت به من ثوب عز ومن بر وأعلاق
(سددّ خالك من مال تجمععه حتى تلاقي ما كلّ أمري لاق)4

(1) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، تح أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، د ت ، دط ، ج 1 ، ص 312 .

(2) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تح: إحسان عباس وآخرون ، دار صادر لبنان د ط ، د ت ، مج 21 ، ص 94 .

(3) ديوان تأبط شرا ، ص7.

(4) ينظر، ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص ، 672 .

وذكر في شعره أنه لقي الغول فقتلها ، وجعل يصفها :
 تقول سليمي لجاراتها أرى ثابتا يفنا حوقلا
 لها الويل ، ما وجدت ثابتا ألف اليدين ولا زملا
 ولا رعرش الساق عند الجراء إذا بادر الحملة الهيضلا
 يفوت الجياد بتقريبه و يكسو هواديها القسطلا¹

وقد ذكر ابن قتيبة أن حياة تأبط كانت قاسية لأنه شاعرا بئيسا يغزو على
 رجليه وحده ، وقد روى عن وفاته أن قبيلة هذيل ادّعت قتله² ، وفي رواية أخرى
 كانت نهاية تأبط شراً "على يد غلام اسمه سفيان بن ساعدة إذ تخبأ له ولكن وراء
 الشجرة يترقبه حتى إذا اقترب أطلق عليه سهماً فأصابه في قدمه ، فأدمى تأبط شراً
 ولحق سفيان وقتله ثم عاد يعرج على رفاقه ليموت بينهم"³
 وخالصة القول أن شعر تأبط شراً كان وصفا لكأبته وحزنه وتعاسته وفقره وتشرده
 وغاراته وغزواته ، ونلمس في شعره - أحيانا - الخشونة وأحيانا أخرى السلاسة والرقّة
 ، والصراحة و الاعتداد بالنفس والافتخار بها .

ب- الشنفرى :

هو عامر بن عمرو الأردني ، من اليمن ، يلقب بالشنفرى - بفتح الشين وآخره
 ألف مقصورة - اختلف اللّغويون في معنى لفظ الشنفرى وأغلبهم فسرها بأنه غليظ
 الشفتين أما تراجم الشعراء فأغلبهم أجمعوا على أن الشنفرى هو لقبه ، ومرده إلى
 غلظة شفته وإلى حدّة مزاجه⁴ .

ويظهر أن سيرة الشنفرى وزمان ولادته غامض وغير واضح " فلا نجد في
 مصادر ترجمته تاريخاً محدداً أو تقريباً لتاريخ ولادته التي يغلب الظن أنها كانت
 أمة سوداء أما نشأته، فقد اختلف الرواة فيها على ثلاثة أقوال ؛ إذ قال بعضهم أنه
 نشأ في قومه الأزدي ثم أغاضوه فهجرهم، وقال آخرون أن بني سلمان أسروه

(1) ديوان تأبط شرا، ص 72.

(2) ينظر ، ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص 312/1 .

(3) ديوان تأبط شرا ، ص 70 .

(4) ينظر أبي الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج21 ، ص 12.

صغيراً، فنشأ فيهم يطلب النجاة، حتى هرب ثم انتقم منهم، وقالت فئة ثالثة ك أنه ولد في بني سلامان، فتنشأ بينهم، وهو لا يعلم أنه من غيرهم، حتى قال يوماً لابنة مولاه: اغسلي رأسي يا أختي، فغاضها أن يدعوها بأختها، فلطمته، فسأل عن سبب ذلك، فأخبر بالحقيقة، فأضمر الشر لبني سلامان، وحلف أن يقتل منهم مئة رجل وفعل، وقال:

ألا ليت شعري والتلف خلة بما ضربت كف القناة هجينا
ولم علمت تعوس أناب والدي ووالدها ظلت تفاخر دونها
أنا ابن خياد الحجر بيتا ومنصبا وأمي ابنة لو تعد فينا¹

وفي الحديث عن حلف الشنفرى أنه سيقتل مئة رجل وعن مقتله تذكر حنا الفاخوري أن الشنفرى قتل من قبيلة بني سلامان تسعة وتسعين رجلاً ، ثم احتالوا عليه فأمسكه رجل منهم يدعى أسيد من جابر فقتله، ثم مرّ به رجل فرفس جمجمته، فدخلت شظية منها فتي رجله فمات فبلغ عدد القتلى منهم مائة².

والحديث عن سيرة الشنفرى طويل جداً، فحياته كلّها تدور حول السلب والنهب والإغارة والغزو والسطو، " كما كان الشنفرى يفتخر بنفسه ومرد هذا الافتخار يعود إلى نفوره من لونه الأسود ، فقد وصف وجهه بالبياض ؛ وقد نلمس في هذا الوصف لونا من السخرية من اهتمام قبيلته وسادتها بمسألة اللون، فيقول:

إذا ما أروم الودّ بيني وبينها بؤم بياض الوجه مني يمينها³

وقد عارض الشنفرى نظام الحياة القبلية وأحدث قطيعة لها وتمرد عليها ، فأمضى مع رفقاءه من الصعاليك في الصحراء يمارسون النهب والسلب و الإغارة ، فالشنفرى لم يخرج عن دائرة الصعاليك وحياتهم ومبادئهم ، فاتخذوا من نمن السطو والإغارة سبيلاً لضمان العيش والتمرد عليه في نفس الوقت رافضين التمييز بين الغني والفقير فالوضع الاجتماعي المنحط كان سبباً في تصعك الشنفرى ومعاناته في الصحراء وتمردّه على قبيلته.

(1) اميل يعقوب ، ديوان الشنفرى ، دار الكتاب العربي ، ط2 ، 1996 ، 20 ،

(2) ينظر، حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، دار الجيل ، بيروت ، د ت ، د ط ، ص 170 .

(3) يوسف خليف ، الصعاليك في العصر الجاهلي ، ص333 .

ج- عروة بن الورد:

" عروة بن الورد بن زيد ، وقيل : ابن عمر بن زيد بن عبد هللا بن هويم لديم بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن الرين ابن غطفان بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ، شاعر من شعراء الجاهلية و فارس من فرسانها و صعلوك من صعاليكها المحدودين المقدمين الأجاود و كان يلقب عروة الصعاليك لجمعه إياهم و قيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزوتهم و لهم يكن لهم معاش و لا مغزى قبل بل لقب عروة الصعاليك لقوله:

لحا الله صعلوكا إذا جن ليله مصا في المشاش ألفا كل مجزر
يعد الغنى من دهره كل ليلة أصاب قراها من صديق ميسر
ولله صعلوك صفيحة وجهه كضوء شهاب القابس المتنور¹

وقد ذكره بروكلمان أيضا حيث قال: " إن اسمه عروة بن الورد العبسي كاد يدرك الإسلام، وهو بدوي قح، رويت له أشعار أكثر مما رويت لتأبط شرا و الشنفرى وإن كان دونهما في تصوير حياة الجاهلية .وكان لأبيه مقام في حرب داحس. ومن أجل ذلك مدحه عنتره. وكانت أمه من بني نهد. وهم ليسو من أشرف القبائل، فغظ ذلك من منزلته. وكان بنو عبس يقدرون عنتره حتى قدره بطلا أكثر من شاعرا ، على حين كانوا يرون عروة أشعر الشعراء " 2.

كان عروة بن الورد يتحلى بأخلاق عالية وحميدة، فقد عرف أنه كان يعين الفقير المسكين ويساعده، وعرف أيضا بالكرم و الجود والشجاعة، كما كان يعجب بالصعلوك المكافح الذي يقات بنفسه، فيقول:

ولكن صعلوكا صحيفة وجهه كضوء شهاب القابس المتبور
مطلا على أعدائه يزجرونه بساحتهم زجر المنيح المسهر
فإن بعدوا لا يؤمنون اقترابه تشوق أهل الغائب المنتظر³

(1) أبي فرج الأصفهاني ، الأغاني ، ص 70 .

(2) كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، تر: عبد الحلیم النجار ، دار المعارف ، القاهرة ، ط5 ، ج1 ، ص 109.

(3). الديوان، ص 69.

وجدير بالذّكر أن عروة بن الورد كان كريما معطاء مع أنه لم يكن غنيا فكان يساعد كل فقير كل محتاج، كل مريض من سكان البادية العربية، كان بيت عروة الملجأ لكل محتاج، وفراشه فراشه على حد قوله:

فراشي فراش الضعيف والبيت بيته ولم يلهني عنه غزال مقلع

أحدثه، إن الحديث من القرى وتعلم نفس انه سوف يجزع 1

أما عن شاعرية عروة فلم يكن فارسا صعلوكا جوادا فحسب، وإنما كان من شعراء العرب المعدودين، حتى أن قومه بني عبس، كانوا يأتون بشعره .

ويقال أن عروة بن الورد أمير الصعاليك مات مقتولا، قتله رجل من بني

طهية في سنة 616 م 2.

خصائص شعره :

ونخص ما يتميز به أسلوب عروة في شعره، انه أسلوب وسطي أنه سهل اللفظ بالقياس إلي شعر سائر الصعاليك، واضح المعنى قريب التعبير لا تكلف فيه ولا تصنع وقد يكون هذا ضيفا بعد أن قررنا أن عروة كان يقوم في حركة الصعلكة بالداعية المذهبي أو الزعيم الشعبي الذي يحرص على استمالة الجمهور.

ولعل عروة أكثر الشعراء الصعاليك استخداما لسلك المقدمات النسائية التي اصطلاحنا علي تسمها مقدمات الفروسية في شعر الصعاليك وهذا أيضا صعب فان أخبار عروة مع نساءه السبايا تدل على احترام مغلغل في نفس المرأة ورواة الأدب يصفونه بأنه كان لا يمس النساء³ ، والى هذه الخصائص أضاف منذر شعار خصائص أخرى، فقال " شعر عروة حلو سائغ وهو إلى حالوته متين القافية رصين التركيب فيه نصيب من التصوير و وفيه حركة وحياة "4.

وشعره أيضا يتميز بأنه: يتميز باللفظ، يتميز بالقبول لدى القارئ، لا يقف على الأطلال ولا نجد له بكاء للديار و تشبيرا للمحبة الضاعنة، ووصفا للجواد أو

(1) الديوان، ص 10.

(2) ينظر، الديوان، ص 10.

(3) ينظر ، يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك ، ص 330.

(4) غازي طليعات الأدب الجاهلي ، ص 586 .

الناقة، وفي شعره خرج بعيدا عن التقليدية إلى آفاق رحبة وإلى أغراض إنسانية سامية، شعره يمتلئ بجمال المعاني، والطراوة، والإيقاع العذب، والبعد عن الغريب المستهجن 1.

(1) ينظر ، الديوان، ص 10 وما بعدها.

الفصل الثاني : صورة المرأة وتجلياتها في شعر

عروة بن الورد.

1- صورة المرأة العازلة

2- صورة المرأة العفيفة

3- صورة المرأة الأمة و السبية

4- صورة المرأة الجاحدة

5- صورة المرأة الأم

صورة المرأة وتجلياتها في شعر عروة بن الورد :

الصورة من أكثر المصطلحات استعمالاً في الدراسات، وللصورة مفاهيم متعددة فمفهومها في علم النفس يختلف عن مفهومها في الفلسفة، ومفهومها في الفلسفة ليس مفهومها في النقد الأدبي أو الشعر، وحتى في الشعر ليس لها مفهوم واحد. وقد أشار رامبو Arthur Rimbaud إلى أن "التصويرين عدو الصورة ليس مجرد نسخ للتجربة، وإنما إعادة خلق مثالي لها وواسطة لرؤية ما وراء الإدراك إلى داخل الأشياء أي قوة إدراك خاص وجمالية جديدة"¹. وأما المجال التفصيلي للصورة فإنه "يجعل الصورة تركيبية عقلية تحدث بالتناسب أو بالمقارنة بين عنصرين هما في أحيان كثيرة، عنصر ظاهري وآخر باطني، كما يحدد جمال ذلك التناسب أو المقارنة بعنصرين آخرين هما: الحافز والقيمة؛ لأن كل صورة تنشأ بدافع وتؤدي إلى قيمة"² وهذا المفهوم أشار إليه بول دي مان Paul de Man بقوله : " إن من الخصائص المميزة للغة الشعرية أن تكون قادرة على إخفاء المعنى وراء إشارة مضللة، مثلما نخفي الغضب أو الكراهية أو ابتسامة"³. فاللغة لا تعبر عن المعنى أو تقصده كما أنها كانت تترجمه ، وإنما توحى إليه وتضمه في السياق اللغوي على نحو ما يضمه له في فن التصوير في الأسلوب التعبيري، والشعر أصبح يميل إلى خلق حالة مزاجية وجدانية من خلال التلاعب باللغة الشعرية ذاتها. وتشكل الصورة الفنية بما تتطوي عليه من أبعاد جمالية مؤسسة على الشعرية وبالغة المجازات والاستعارات والرموز"⁴، وتتخذ هذه الصورة من أحاسيس الشاعر وعواطفه شكلاً فنياً بإمكانه أن يؤثر فينا وترسم الملامح العامة لتجربة الشاعر

(1) جاكوب كوراك ، اللغة في الأدب الحديث ، الحداثة والتجريب ، تر: ليون يوسف و عزيز عما نوتيل ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، دط ، 1989 ، ص 241 .

(2) عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في النقد الشعري ، دراسة في النظرية والتطبيق ، مكتبة الكناي ، الأردن ، دط ، 1995 ، ص 85 .

(3) بول دي مان ، العمى والبصيرة ، مقالات في بلاغة النقد المعاصر ، تح : فلادغوزيتش ، تر : سعد الغانمي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، دط ، 2000 ، ص 4 .

(4) يوسف عليمات ، النسق الثقافي ، قراءة في أنساق الشعر القديم ، عالم الكتب الحديثة ، عمان ، دط ، 2009 ، ص120 .

النفسية، فهي بمثابة ترجمان لنفسية الشاعر، وتحدث الكثير عن قدرة الصورة الفنية على المراوغة والإيحاء.

و قد شككت المرأة -كصورة فنية- دورا بارزا في الشعر العربي، ولا سيما الشعر الجاهلي بعامة وشعر الصعاليك خاصة، وقد وقع اختيارنا في هذا البحث على شعر عروة بن الورد أمير الصعاليك لندرس فيه صورة المرأة وتجلياتها.

لقد لاحظنا أثناء قراءتنا للديوان حضور بارز للمرأة فيه، حيث تظهر القراءة الفاحصة إمكانية تشكل خمس صور مركزية يمكن تشديرها على النحو الآتي :

(1) صورة المرأة العاذلة

(2) صورة المرأة العفيفة

(3) صورة المرأة الأمة و السبية

(4) صورة المرأة الأم

(5) صورة المرأة الجاحدة

1) صورة الزوجة العاذلة :

تكشف ظاهرة العذل في شعر الصعاليك عن لوحات فنية مهدوا بها لنصوصهم، وجعلوا منها جسرا يعبرون من خلاله عن تصوراتهم ومعتقداتهم وفلسفاتهم ومفاهيمهم الخاصة.

ورد في لسان العرب: "والعذل: هو اللوم وعذله لومه، وذكر ابن الأعرابي العذل الحرق، فكان اللائم يحرق بعذله قلب المعذول"¹. وقد تعددت مرادفات العذل في نصوص الصعاليك منها اللوم و العتب أو العتاب، " فالصلعوك يلجأ إلى فكرة العذل واستحضار عاذلة تثير حوارا قلقا يحرض الشاعر على الاسترسال في تبرير مواقفه وسرد قناعاته وأيما كان هدف الصلعوك من العذل فإنه استطاع من خلاله أن يخلق له عالما افتراضيا يمارس في ضوء وظيفة الصعلكة بقناعة تامة وفق رغباته بعيدا عن سلطة القمع"².

والمتتبع لظاهرة العذل فتي شعر الصعاليك يستطيع ملاحظة أن المرأة العاذلة كانت دوما حريصة على الرجل وتخاف عليه وتدعوه إلى التعقل، وكانت بمثابة صوت عقله الداخلي تحاول إحداث التوازن في تصرفاته...

كانت المرأة دائما تحاول التأثير على ذلك الصلعوك وجذبه إليها، وتغريه قدر استطاعتها، لكنه غالبا ما كان يرفض الميل والانجراف وراء إغراء صوتها الأنثوي، الذي كان يحاول أن يرده عن تحقيق أهدافه ومبادئه والوقوف في طريقه، وذلك الصوت كان يعتمد تارة الحجة في إقناعه وتارة أخرى تستعمل الإغراء، وفي كليهما يبرز الصلعوك العاذلة في صورة المرأة الضعيفة التي لا تستطيع تغيير قناعاته ومبادئه ويظهر هو ذلك الفارس المغوار القوي الشهم الذي كرس حياته في سبيل تحقيق أهدافه وطموحاته النبيلة السامية، فهو صاحب رسالة في الحياة تتمثل في السعي إلى تحقيق حياة فاضلة وطلب الغنى والعيش الكريم ...

(1) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة عذل ، ص 343.

(2) مريم حسين الحارثي ، العاذلة ، قراءة في شعر الصعاليك من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي ، مجلة البحث العلمي في الآداب ، جامعة الطائف ، الجزء الثالث ، العدد العشرون ، 2019، ص 404.

" والشاعر يخالف هذا الصوت لا ازدراء (بالمرأة) العاذل وانتقاصا من شأنها، ولكن مبالغة فيما هو فيه وإصرارا منه عليه لأنه يرى في ذلك معنى جديدا يضاف إلى ما يفخر به من مكارم الأخلاق ومن القيم والخصال الحميدة، فاستعان بهذه الوسيلة غير المباشرة للتعبير عما يريد"¹.

وصورة المرأة العاذلة فاعلة وجليية في شعر عروة بن الورد، حيث نجد حضور المرأة التي تلوم الرجل أو حبيبها أو زوجها على إفراطه في الحب أو الكرم... كما أن الصعلوك اتخذ من العذل وسيلة لتبرير أفعاله وإبراز قيمة لأفكاره ومبادئه، وقام من خلاله بخلق ما يشبه الحوار بينه وبين تلك المرأة العاذلة، ويتبين هذا في رائية عروة بن الورد التي يقول فيها:

أقلي علي اللوم يا ابنة منذر	ونامي وإن لم تشتهي النوم فاسهري
ذريني ونفسي أم حسان أنيبها	قبل أن لا أملك البيع مشتري
أحاديث تبقى وألفى غير خالد	إذا هو أمسى هامة فوق صيري
تجاوب أحجار الكناس وتشتي	إلى كل معروف رأته ومنكر
ذريني أطوف في البلاد لعلي	أخليك أو أغنيك عن سوء محضري
فإن فاز سهم للمنية لم أكن	جزوعا وهل عن ذاك متأخر ²

فعروة في هذه الأبيات يجعل زوجته تلومه في حياة المخاطر التي يعيشها وان يلومها هو على لومها، وهو بذلك يحقق هدفين: أولهما إبراز جزع الزوجة وخوفها عليه وهذا ما يريده كل نكر من أنثاه، وثانيهما أن ينطلق من اللوم إلى تمجيد حياة السعي والمغامرة جاعلا نفسه مثالا للآخرين للاقتداء به والاستماع إلى صوت العقل والحاجة لا صوت المرأة الجزوع. "وتكشف صيغ الأمر: أقلي علي، ذريني ونفسي، ذريني أطوف، عن حضور الذات التي ترفض صوت الأخ، العاذلة فتضحى هذه الذات ممتلئة وقادرة على جعل الآخرين يستمعون لصوتها وفكرها"³

(1) علي أبو زيد، ظاهرة العذل في شعر حاتم الطائي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 19، العدد الأول، سنة 2002، ص 86 .

(2) الديوان، ص 67.

(3) يوسف عليمات، النسق الثقافي، 130، 131.

وفي هذه الأبيات تحدث عن زوجته التي تريد أن تردّه عن تصرفاته وأسلوب عيشه وحياته التي اختارها، وتطلب منه أن يرجع إلى حياته العادية، ويظهر من خلال البيت الأول أنها كانت قاسية في لومها عليه وتلح عليه بشدة لإقناعه لدرجة أنه ضجر من كثرة لومها، فدعاها إلى النوم حتى يخلص من لسانها، محاولة تهدئتها في البيت الثاني طالبا منها أن تتركه يسعى في تحقيق هدفه قبل أن تتال منه الموت. ويركز عروة على حقيقة جعله متمردا علي صوت لائمته وحاذ في خطابه لها عبر تكرار الفعل "ذريني" من خلال عدم انصياعه إلى سلطة امرأة تحد من جموحه وأماله و هذا في قوله:

ذريني أطوف في البلاد لعلي أفيد غنى فيه لذي محمل¹

"فالقبيلة تود لو بقي هذا الصعلوك في إطار حدودها وسلطتها، إلا أن الشاعر يجد في فكرة الطواف أداة للخروج من أسر هذا الحصار الذي تمارسه القبيلة بحقه ولا يتفق حتما مع العاذلة"².

إن استعماله عبارة " ابنة منذر" يظهر مسافة البعد بينهما فأصبح يناديها بانتمائها السابق و يناديها باسم أبيها، ليشير بها إلى عدم انتمائها لزوجها في لحظة اللوم " فالشاعر يخاطب ابنة منذر و أم حسان وهما رمز أنثوي يشير إلى تغاير اسميته، إلى قبيلة الصعلوك، التي طالما توجهت إليه باللوم والنقد بسبب تمرده على ما تواضعت عليه من قيم وأعراف"³.

ويصور في أبيات أخرى لوم الزوجة وخوفها عليه من مخاطر الصعلكة وحرصها على سلامته ومحاولتها الحفاظ عليه. يقول :

أرى أم حسان الغداة تلومني تخوفني الأعداء،والنفس أخوف
تقول سليمي لو أقمت لسرنا ولم تدر أني للمقام أطوف
لعل الذي خوفتنا منه أمامنا يصادفه في أهله المتخلف

(1) الديوان ، ص 67.

(2) يوسف عليما، النسق الثقافي، ص133

(3) د يوسف محمود عليما، صورة المرأة عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بحرين، العدد 14، صيف 2007م، ص 246.

إذا قلت جاء الغنى، حال دونه أبو صبية، يشكو المفاقر، أعجف¹

فحياة الصعلوك المليئة بالمخاطر والمجازفات جعلتها دائمة القلق والخوف على موته لأن هذا الأمر جعلها مهددة بالثكل، فزوجها هو كل شيء بالنسبة إليها، فهو مصدر فرحها وسعادتها وملاذها الآمن ومبعثطمأنينتها، فهي ترى أنه من حقها الخوف عليه والوقوف في وجهه ورفضها الحياة التي اختارها لنفسه، يقول عروة:

دعيني أطوف في البلاد أفيد غني فيه لذي الحق محمل

أليس عظيما أن تلم ملامة وليس علينا في الحقوق معول

فإن نحن لم نملك دفاعا بحادث تلم به الأيام فالموت أجمل²

فهو يرى أن للزوجة حدودا لا يجب أن تتعداها، وعليها ألا تتماذي في لومها، فإذا هي منعتة من واجبه ومبادئه تجاه نفسه وجماعته سيقابلها بالرفض والعصيان، وأنه لا يستطيع طاعتها في أمر كهذا، فيقول:

إذا أمرتني بالعقوق حليتي فلم أعصها، إني إذا لمضيع³

فعروة يركز على حقيقة جعله متمردا على صوت العاذلة من خلال عدم الانصياع لهذه العاذلة التي تحد من جموحه وآماله، فالقبيلة تود لو بقي هذا الصعلوك في إطار حدودها وسلطتها، إلا أن الشاعر يجد في فكرة الطواف أداة للخروج من أسر هذا الحصار الذي تمارسه القبيلة بحقه ولا يتفق حتما مع عاذلته التي تسعى إلى قتل روح الإقدام لدى الشاعر، وتتخذ من اللوم حيلة لاستقطابه والتأثير عليه وجذبه إلى عالمها الذي فيه السكونية وحفظ النفس، لكن هذا الشاعر حريص على مبادئه وفلسفته، فيرفض بذلك كلامها وتصورها عنه⁴.

ونجد المرأة في أبيات أخرى قد تخلت عن طريقة اللوم والنصح واستعملت التهديد والتخويف والنقد تجاه زوجها، يقول عروة:

تقول لك الويلات، هل أنت تارك ضبوءا برجل ، تارة وبمنسر

(1) الديوان، 87.

(2) الديوان، ص 97.

(3) الديوان، ص 84.

(4) ينظر، يوسف عليما، النسق الثقافي، ص133.

ومستثبت في مالك العام ، إنني أراك على أقتاد صرماء مذكر
فجوع لأهل الصالحين ، منزلة مخوف رداها أن تصيبك فاحذر¹

لقد فشلت تلك العاذلة في استعمال أساليب اللوم والتحذير والعتاب لتلجأ بعدها إلى أسلوب البكاء، فكانت تحاول ببيائها الذي ينبع من ضعفها صدّ زوجها عن غايته واستثارة عاطفته أملا منها تحقيق غايتها، يقول:

تقول: ألا اقصر من الغزو، واشتكى لها القول، طرف أحور العين داعم
سأغنيك عن رجع الكلام بمزعم من الأمر ، لا يعيشو عليه المطاوع²

وفي أبيات أخرى يحاول عروة تهدئة عاذلته، حيث يطلب منها أن تكف عن لومه وتتركه وشأنه، تتركه ساعيا في طلب المال، وكسب الرزق لأن الناس تنظر إلى الفقير نظرة احتقار وسخرية ، وأنه ذليل ضعيف، ولا خير فيه، على عكس الغني الذي يحترمونه ويقدرونه ، يقول:

دعيني للغنى أسعى فإني رأيت الناس شرهم الفقير
وأبعدهم وأهونهم عليهم وإن أمسى له حسب وخير
ويقصيه الندى وتزدريه حليته، وينهره الصغير
ويلقى ذو الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جم ولكن للغنى رب غفور³

وفي أبيات أخرى يحاول السمو بهدف الغزو وجمع الثروة، فيطلب منها تركه يسعى وراء جمع المال لمساعدة الفقراء والمحتاجين، وأن الموت عنده أهون من أن يرى محتاجا ضعيفا لا يستطيع مساعدته، فهو يخاطر بنفسه من أجل الآخرين حيث يقول:

دعيني أطوّف في البلاد لعلي أفيد غنى فيه لذي الحق محملي
أليس عظيما أن تلم ملّة وليس علينا في الحقول معول

(1) الديوان، ص 67 ، 68

(2) الديوان ، ص 82.

(3) الديوان، ص 79.

فإن نحن لم نملك دفاعا بحادث تلم به الأيام فالموت أجمل¹
وهكذا لاحظنا كيف أن الشاعر دائماً يبهر لعاذلته أفعاله،
ويحاول أن يمتص غضبها وينقص من خوفها عليه، فكان دائماً
يرد عليها بلباقة، ويحاورها حواراً هادئاً فيه ود ومحبة وعطف
وحب، يحبها ويدافع عنها ويتودد إليها، ويحاول حمايتها
سعيًا إلى كسب رضاها.

وكرأي شخصي تبدو لنا تلك المرأة العاذلة وكأنها تمارس
سياسة القمع اتجاه ذلك الصعلوك من خلال اللوم و الإيحاء
والنصح والنقد محاولة إخضاعه لصونها ومنعه من التمرد وإرجاعه
إلى نظام القبيلة.

و قد رأينا أن عروة في رسمه لهذه الصورة قد اعتمد على تقنية الحوار وكأنه
يشاركها ذلك الحوار لكن هذه المشاركة لم تحدث أي تغيير أو استجابة
لعاذلته ولم يتجاوز حدود الإصغاء.

(2) صورة المرأة العفيفة :

نظر الجاهلي إلى المرأة نظرة حسية، فراح يصف كل ما وقعت عليه عيناه في
جسدها وصفا مفتونا، وأصبح الحديث عن المرأة ووصفها في أشعارهم مجال تنافس
بينهم ونفاخر، فلم يكن هدفهم الحديث عن تحاربهم وعلاقاتهم ووصف أفراسهم
ومآسئهم، بقدر ما كان التباهي بتلك العلاقات من جهة، أو تقليد النماذج الفنية
النمطية كما نجده في المقدمات الطللية من جهة أخرى، أي أن ما وصل إلينا لم يكن
يمثل تجارب صادقة أو قصصا واقعية²، فتناول الشعراء لموضوع المرأة كان من باب
التفاخر، أو من باب التقليد ليس إلا.

وإذا كانت المقدمات والقصائد الغزلية لدى الشعراء الجاهليين يمكن أن نقول عنها
إنها "مشاركة ومكرورة لا تكشف عن حب صادق، بقدر ما تكشف عن مهارة فنية في

(1) الديوان، ص 97.

(2) حسين عطوان ، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، دط ، دت ، ص

نحت تمثال ينظر لروعة دقته المارة في تفصيل موح للأعضاء من مثل العينين والأسنان والجيد...¹، إلا أن التجربة الفنية للصعاليك اختلفت تماما عنهم، إذ أنها تميزت بالواقعية والصدق، وفي هذا الصدد يقول يوسف خليف: "والمظهر الثاني لهذه الواقعية الصدق في النقل من الحياة، ومطابقة الصورة للأصل، بحيث لا يشعر الناظر في شعر الصعاليك باختلاف بين الصورة الشعرية وأصلها في الحياة، وبين ما يراه في شعرهم وما يشاهده في الحياة، حتى ليخيل إليه أنه أمام مجموعة من الصور الفوتوغرافية"²

فالصعوك كان ينظر للمرأة على أنها ملاذه الآمن ومصدر راحته وطمأنينته، فقد وجد فيها مخرجا ومنتفسا عن عزلته النفسية والاجتماعية، وأنها تعوضه عما افتقر إليه وحرم منه من استقرار، فكان يهرب من همومه وآلامه إليها لأنه يجد عندها الراحة والطمأنينة ، فكانت صورته تجاه المرأة نابعة من أعماقه معبرة عنها، كاشفة عن مكبوتاته ومكنوناته النفسية، مجسدة لمبادئه و نظراته .

وعلى الرغم من علاقة الصعوك بالمرأة وتعلقه بها إلا أنه لم يتخلى قط عن مبادئه و يطالعنا الصعاليك بأخلاق وقيم عالية ورفيعة خاصة العفة التي سمت لدرجة النبل و"لا نظن أن شعرا صور خلقا أو أسمى منها، وليس شعرهم وحده هو الذي يصور هذه المثالية الرفيعة في أخلاقهم، فأخبارهم أيضا لا تعارض هذا ولا تنفيه بل تؤيده وتؤكدده...."³

والمتتبع "لأخبار عروة بن الورد مع نسائه السبايا تدل على احترام متغلغل في نفسه للمرأة، ورواة الأدب العربي يصفونه بأنه كان لا يمس النساء"⁴، وتظهر أخلاق عروة في شعره ، حيث يقول:

(1) خالد زواوي ، تطور الصورة في الشعر الجاهلي ، مؤسسة حورس الدولية ، للنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، مصر ، ط1 ، 2000 ، ص 126 .

(2) يوسف خليف الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ص 277.

(3) عبد الحليم حفني ، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ، ص 337 ، 338.

(4) يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ص 324.

وإن جرتي ألوت رياح ببيتها تغافت حتى يستر البيت جانبه¹

في هذا البيت يصف عروة عفته وحفاظه على جارته إذا طرحت الريح خباءها أو كشفت عن جانب منه، فهو يعف عن النظر إليها حتى تتوارى عن ناظريه .

وعروة كغيره من الصعاليك مفطور على حب الجمال، غير أنه لا يلتفت إلى مفاتن الزوجة، فهو يبتعد عن إبراز المفاتن الحسية التي تثير الرغبة، يقول عروة في وصف زوجته التي أحبها:

وقالوا ما تشاء، فقلت ألهو إلى الإصباح آثر ذي أثر

بأنسة الحديث رضاب فيها بعيد النوم كالعنب العصير²

فزوجته امرأة تؤنس زوجها، يذ له الحديث معها، ريقها كعصير العنب، ولعل عروة يوغل في وصف ريق محبوبته والتي هي زوجته، الذي يشبهه بعصير العنب لما فيه من لذة و متعة للشاربين، وفي أبيات أخرى يعجب بعيني زوجته ، فيقول:

تقول: لا اقصر ومن الغزو واشتكى لها القول طرف أحور العين داعم

سأغنيك عن رجع الملام بمزعم من الأمر لا يعيش عليه المطاوع³

إن العرب تحب العين الحوراء، والحور هو سواد شديد، وبياض صاف في العين، يمنح المرأة جمالا مميزا، وهذا ما أعجب به عروة ولفت انتباهه .

وقد أشار عروة إلى جمال زوجته بشكل معين فنجده يقول :

فراشي فراش الضيف البيت بيته ولم يلهني عنه غزال مقنع⁴

(1) الديوان، ص29.

(2)الديوان، ص63.

(3) الديوان، ص 82.

(4)الديوان، ص 83.

فوصف عروة لزوجته بالغزال فيه اختصار من الكلام والوصف، بحيث أن الغزال يشير إلى الخفة والرشاقة واللطافة واللين والوداعة، إضافة إلى جمال العينين والبراءة والأمان .

وقد أحدث عروة مفارقة عجيبة في وصف زوجته وهو في حالة غضب منها، لتصرف أو فعل سيء صدر منها، فيلجأ إلى ذكر صفاتها التي لا ترغب في ذكرها ولا تحبها، فنجده يصف زوجته أم وهب وهي نائمة متوسدة ذراعيها وتصدر شخيرا فيقول:

تببت على المرافق أم وهب وقد نام العيون لها كتبت¹

فعروة في هذا البيت يشبه صوت شخير زوجته بصوت غليان القدر، وهذه الصفة لا يكمن أن يعرفها أحد إلا الزوج، ونادرا ما نجد الشاعر يذكر مثل ذلك في شعره.

و يبدو لنا أن غزل صلوكنا عروة فيه طابع العفة في أكرم صورها سواء من ناحية حديثه عن أشواقه و عواطفه أو عن صفات زوجته و خلقها...، كما يتضح لنا في غزله الواقعية والحقيقة في تصوير صلاته العاطفية، والنماذج الشعرية التي صورت عفة المرأة صورت أيضا مكانتها عند الشنفرى وأهميتها بالنسبة إليه.

3- صورة المرأة السبيية والأمة :

كانت حياة السبية في المجتمع الجاهلي تعيسة وشقية، إذ أنه كان عليها أن تنسى إنسانيتها وتخضع للطاعة وتنفيذ الأوامر، وإذا حاولت الرفض أو العصيان تعرضت لأشد أنواع العقاب، وقد يؤدي بها إلى الموت ولا تجد من يساعدها ويكف الظلم عنها . وهذا لا يعني تمكن بعض الإماء من التمتع بحياة حلوة وظروف حسنة، لأن القدر حالفهن واستفدن من عناصر أنوثتهن، فكانوا محط إعجاب الرجال فتزوجن منهن " وذلك أن من الإماء من كانت جميلة الصورة حلوة والمنظر والكلام، ولذلك تزوج سادتهن منهن فولد لهم نسل قيل للواحد منهم الهجين، والهجين : ولد العربي من غير

(1) الديوان، ص 49..

العربية، قيل له ذلك لأن الغالب على ألوان العرب الأدمة، ويقال للزواج الذي يقع بين عربي وأعجمية (مهاجنة)، وقد عاتبته العرب وعدت الهجين دون العربي الصريح لوجود دم أعجمي فيه "1.

وكما عانت الإماماء من قسوة الحياة والمظلم والعبودية لم يكن أبناؤها بأحسن حال منهن، فكان عليهم إما الرضوخ لتلك الحياة أو الثورة عليها، وهو ما يكمن أن تعبر عليه بصراع الأخرية ضد الظلم والاستبداد " وإذا كانت قضية الإماماء وحياتهم في مجتمع القبيلة تمثل محورا من محاور الشقاق بين الفرد من هؤلاء وبين القبيلة، فقد كان هذا الشقاق يأخذ طابع الحدة إذا كان الفرد من طبقة العبيد السود نتيجة لسواد أمه، ويكفي أنهم كانوا يعرفون في المجتمع الجاهلي باسم (الأخرية السود) "2.

غير أن الصعاليك اعتزوا بحماية نسائهم والذود عنهن وحمائتهن، كما افتخروا بقدرتهم على حماية سبايا غيرهم، وعيروا أعداءهم بذلك كما أن صور السبايا تعددت في شعرهم، وقد أثار وضع الإماماء أبنائهن من الصعاليك فأبدعوا في تصوير محنتهن وما يلاقينه من ذل وهوان .

وليس غريبا أن نجد نماذج لصورة المرأة السبية والأمة عند الشعراء الصعاليك، لأن حياتهم أصلا تقوم على السطو والإغارة والغزو، فمن الطبيعي أن تقع بعض النساء سبايا لديهم، وأسر الصعاليك للنساء لا يعارض احترامهم لإنسانية المرأة، فبالرغم من أسرهن للنساء وسبيهن إلا أنهم لم يسيئوا قط معاملتهن، وأخبار عروة مع السبايا خير دليل على ذلك، وهذا ما يصوره في شعره.

يروى أن بني عامر أخذوا امرأة من بني عبس، ثم من بني سكين يقال لها أسماء، فما لبث عندهم إلا يوما حتى استنقذها قومها، فبلغ عامر أن عروة بن الطفيل قد

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج4، ص 390.

(2) عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي ، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر ، دط ، سنة 2002، ص95 .

افتخر بذلك الأمر، وذكر أخذه إياها، فرد عروة عليهم يعيرهم
بأخذه ليلي بنت شعواء الهلالية¹، يقول عروة :

أن تأخذوا أسماء ، موقف ساعة فمأخذ ليلي ، وهي عذراء ، أعجب
لبسنا زمانا حسننا وشبابها وردت إلى شعواء ، والرأس أشيب
كمأخذنا حسناء كرها، ودمعها غداة اللوى ن مغصوبة يتصبب²

يفتخر عروة في هذه الأبيات بنفسه لأنه سبى ليلي بنت الشعواء، و ليلي فتاة عذراء
والشاعر يرسم صورة لهذه الفتاة لحظة أخذها واقتيادها إلى مصيرها الجديد مكرهة
ومرغمة، فهي معصبة الرأس تذرف دموعها خوفا وحزنا لما ستقول إليه حالتها، ظلت
عنده زمنا، ولم ترجع إلى أهلها حتى شاب شعرها، و أصبحت كبيرة في السن وتقدم
بها العمر، وهذا ما يدل على قوة الشاعر، وفيه تعبير لضعف أعدائه وعدم
قدرتهم حماية سباياهم.

وإن كان عروة لم يخبرنا في هذه الأبيات بمصير تلك السبايا الآتي قام هو
ورفاقه بسبيهن إلا أنه أخبرنا بأن سبيته ليلي عادت إلى أمها لكن بعدما تقدم بها العمر
وقضت شبابها سبية يستمتع بها القوم ويستمتع بجسدها الجميل.

ويريد عروة كأن يجري مقارنة بين سبيته وسبية أعدائه، وفي كلتا الحالتين تكون
السبية امرأة مسلوقة الإرادة والحرية لا يسمع لها صوت ولا رفض. وليس أدل على ذلك
من قصة وقعت لشاعرنا نفسه من زوجته "سلمى" التي كانت سبية ثم أعتقها فأولعت
به حبا وأولع بها بعد سنوات من العشرة، وظلت معه تزيه حبها له وعشقها وأنها لم تعد
تتحمل العيش دونه، ولكن لما أخذها لأهلها دبرت له مكيدة معهم، ورفضت أن تعود
معه وقد لخصت سبب تصرفها في قولها : " ...والله ما أعلم امرأة من العرب ألفت
سترها على بعل خيرا منك وأغض طرفا وأقل فحشا وأجود يدا وأحمى لحقيقة، وما مر
علي يوم منذ كنت عندك إلا والموت فيه أحب إلي من الحياة بين قومك، لأنني لم أكن

(1) الأصفهاني ، الأغاني ، ج3 ، ص 97.

(2) الديوان، ص 47.

أشياء أن أسمع امرأة من قومك تقول : قالت أمة عروة كذا وكذا إلا وسمعتة، و
والله لا أنظر في وجه غطفانية قط ...¹.

فسلمى كانت آنذاك، في حين أن لسانها كان مربوطا مكبلا، عاجزا عن النطق
فسلمى لم تستطع أن تقول رأيها إلا بعدما تحررت من قيدها و وابتعدت عن سباها،
وهي لم تعبر عن رأيها هذا لأنها كانت تعرف أنها مكبلة وليس من حقها الاعتراض أو
إبداء رأيها، لأنها كانت في وضع لا يسمح لها بذلك، وربما هو الرضوخ والخضوع
للعرف والتقاليد والواقع لذلك المجتمع العربي الجاهلي ذي الطبيعة المضطهدة.

(وفي حادثة أخرى غزت) بعد قتل عنترة بن شداد، فسبوا نساء خارجات من الجبل
فتبعتهن طيء، فقالتهم عيس حتى ردهن إلى جبلهن، وجاءوا بالنساء إلى بني عيس
فقال عروة مفتخرا و متشفيا:

أبلغ لديك عامرا أن لقيتها فقد بلغت دار الحافظ قرارها
رحلنا من الأجدال جبال طيء نسوق النساء عوذها وعشارها
تري كل بيضاء العوارض طفلة إذا تركت من آخر الليل دارها²

فعروة في هذه الأبيات يفتخر بسوق نساء طيء سوقا مهينا، ويذر أنه من بين تلك
النساء توجد النساء الحوامل والمرضعات وصغار السن.

وقد أعطى عروة صورة أخرى للسبية التي تأخذ مكرهة مجبرة والدمع يجري ويتصبب
من عينيها على ما آل إليه حالها، يقول عروة :

كما أخذ حسناء كرها ودمعها غداة اللوى مغصوبة يتصبب³

قد أعطى عروة صورة مفزعة مؤلمة رسم فيها بوضوح استهان وإذلال المرأة وسوء
معاملتها على الرغم من كونها رقيقة و ضعيفة .

كان عروة رجلا حلما قويا يحيا بأخلاق الفرسان، وقد وصف بهذا الوصف من
امرأة سبية فارقتة بعد زمن من العشرة والحب فعروة عاملها بما أهل له من رفق ولين،

(1) الديوان، ص 16 ، 17 .

(2) الديوان، ص 76.

(3) الديوان، ص 47.

ومعاملة حسنة، بل وقد أحبها حبا شديدا حتى ملك فؤاده وأطار النوم من عينيه، وهذا ما جعله نادما على فراقها بقية حياته يقول:

أرقت وصحبتني، بمضيق عمق	أرقت وصحبتني، بمضيق عمق
يحور ربابه حور الحسير	إذا قلت استهل على قدي
وأهلي بين زامرة وكير	إذا حلت بأرض بني علي
محل الحي أسفل ذي النقي	ذكرت منازل من أم وهب
معرسنا بدار بني النذير	وأحدث معهدا من أم وهب
إلى الإصباح آثر ذي أثير	وقالوا : ما شاء، فقلت ألهاوا
بعيد النوم، كالغنب العصير	بأنسة الحدث، رضاب فيها
بمغن، ما لديك، ولا فقير	أطلعت الأمرين بصرم سلمى
ومن لك لا تدبر في الأمور	ألا وأبيك، لو كاليوم أمرى
على ما كان من حسك الصدور	إذا لمكنت عصمة أم وهب
على شيء، ويكرهه ضميري	فيا للناس كيف غلبت نفسي
وجبارا، ومن لي من أمير ¹	ألا يا ليتني عاصيت طلقا

وفي حادثة أخرى يسبي عروة امرأة من بني هلال بن عامر بن صعصعة، يقال لها ليلي بنت شعواء، فيعتقها ويتزوجها، وتبقى عنده زمنا، ثم تطلب منه أن تزور أهلها، فحملها حتى أتاهم بها، فلما أراد الرجوع أبت أن ترجع معه وتوعده قومها بقتله، فانصرف عنهم، وأقبل إليها وقال لها: يا ليلي خبري صواحبك عني كيف أنا، فقالت: ما أرى لك عقلا، أتراني قد اخترت عليك وتقول خبري عني². وعروة حينما طلب منها أن تخبره عنه دليل على ثقته بنفسه وفي معاملته الحسنة والطيبة لها، فكان يعاملها معاملة الحبيب لحبيبته ومعاملة الزوج

(1) الديوان، ص 62، 63.

(2) ينظر، الأصفهاني، الأغاني، ج 3، ص 77.

لزوجته، يحن عليها ويرأف بها و يعطف عليها ويحسن صحبتها فهو إذا لم يكن كذلك فلما تجرأ وطلب منها أن تخبره عن نفسه.

وبين عروة حبه لليلي بنت الشعواء وحبّه لسلمي الكنانية يبدو أنه أحب سلمى حبا فاق حبه ليلي ، وهذا يظهر في موقفين، أولهما أنه شعره الذي ينم عن عاطفة و مشاعر صادقة، وحب كبير متدفق، و ندم وحسرة للتفريط فيها، وثانيهما أن عروة لم يعيّر قومها لسبائنها كما عيّر قوم ليلي بسباها كما رأينا في أبيات سابقة، ولكن بالرغم من ذلك لم يحن إلى ليلي لذلك نجده يقول:

وَأنتَ عليها بالملا كنت أقدر	تحن إلى سلمى بحر بلادها
تحاول ليلي أن أهاب وأحصر	يحل بواد من كراء مضلة
وقد جاورت حيا بتيمن منكرا	وكيف ترجيها وقد حيل دونها
وإما عراض السعادين مصدرا	تبغاني الأعداء إما إلى دم
له العدو الأولى، ذا القرن أصحرا	يضل الآباء ساقطا فوق متنه
من اللآء تسكن العرين بعسرا	كأن خوات الرعد رزه زئيره
وعن لنا من أمرنا ما تيسرا	إذا نحن أبردنا وردت ركابنا
وصبري، إذا ما الشيء ولى فادبرا	بدالك مني، عند ذلك صر يمتي
لجارتها ما إن يعيش بأحورا	وما أنسم الأشياء لا أنس قولها
علي بما جشمتني يوم غضورا	لعلك يوما أن تسري ندامة
لي اليوم أدنى منك علما وأخبرا	فغربت إن لم تخبرهم فلا أرى
كريما إذا أسود الأنامل أزهر	قعيدك، عمر الله، هل تعلميني
لعرضي، حتى يؤكل النبات أخضرا	صبورا على رزه الموالي وحافظا
إذا اغبر أولاد الأذلة أسفرا ¹	أقب ومخماص الشتاء مرزا

ومن خلال النماذج الصعلوكية لسبي عروة للنساء رأينا أنه قد رسم في هذه الصورة الطريقة التي قام بها في سبي تلك النساء وهياة تلك المرأة لحظة سبيها و أسرها، وهذه الصورة عكست حدة الألم و المعانات الذي يعانیه العبيد في المجتمع الجاهلي.

(1) الديوان، ص 65 ، 66.

4- صورة المرأة الأم :

لا يخفى على دارس الشعر الجاهلي أن الأم كانت محل تفاخر بين الشعراء، وقد انتسبت عدة قبائل عربية إلى أمهاتها مثل خندق وجديلة ومزينة وعفراء وحبابة وغيرهافإن العديد من رجالات العرب انتسبوا إلى أمهاتهم من أمثال المنذر ابن ماء السماء و عمرو بن هند وذلك تعاضما وتفاخرا . ولكن الأمر بالنسبة إلى الصعاليك يأخذ منحى آخر، فكانت نسبتهم إلى أمهاتهم تحمل معنى التحقير و تجهيل نسب الآباء كما هي الحال عند السليك بن السلكة وقيس بن الحدادية وغيرهما. وعلى الرغم من ذلك فقد كانت صلة الصعاليك بأمهاتهم أقوى من صلتهم بأبائهم، وخاصة عند طائفة الأغرابة منهم، وذلك راجع كما هو معلوم إلى إنكار آبائهم لهم منذ طفولتهم ، وهو ما يطلق عليه يوسف خليف " العصبية النسائية في حياة أغرابة العرب " وهو يجعلها إحدى الأسباب التي أدت إلى تصعلكهم 1.

وبالتـمـعن في حديث الصعاليك عن صورة الأم في شعرهم نجده قليلا، على أن حديثهم عنها لم يكن بصورة عامة بل كان خصوصا، فكانت الأم في شعر هؤلاء الصعاليك تمثل إحدى المخالفات مع الشعراء القبليين، وهذا راجع إلى ضعف النسب من جهة الأم، لأن الصعاليك كانوا يعيرون بأمهاتهم، كما أن أغلب الصعاليك كانوا من أبناء الإماء والسبايا والهجناء، ومن ثم فقد شكلت الأم عبئا آخر يضاف إلى أعباء الصعاليك .

وهناك من الصعاليك الذين نقموا على أمهاتهم، وعانوا في قومهم معاناة شديدة وعيروا بها، وخير مثال على ذلك عروة بن الورد، ذلك الشاعر الفارس السيّد الذي عرف بنبله وعظّمته وكرمته و مروءته و حسن أخلاقه وسط قومه، إلا أن هذا كلّه لم يشفع له عندهم، بحيث أنهم ظلوا يعيرونه بأمه النهديّة التي كانت من النساء الحرائر، إلا أنها لم تكن من نوات الأنساب الرفيعة، مما أثر هذا في حياة عروة

(1) ينظر ، يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ص 108 ، 109 .

تأثيراً كبيراً، وهذا ما جعله ناقماً على أبيه أولاً، كونه اختار أمه من قوم ليسوا من أشرف العرب، وناقماً على أمه، وعلى أخواله، وعلى المجتمع الظالم، فعروة تمرد على مجتمعه وقبيلته التي كانت تنظر إليه نظرة تشاؤمية، لأن والده كان سبباً في رهان عبس وفزارة ولأن أمه تنتمي إلى قبيلة أقل شرفاً من عبس وأنها نهديه عدت بمثابة أمة ويذكر عروة كيف عيره قومه، فيقول:

أعيرتموني أن أمي تريعة وهل ينجبن في القوم إلا الترائع

وما طالب الأوتار غير ابن حرّة طويل نجاد السيف عاري الأشاجع²

و أول ما يلفت النظر في حديث عروة عن أمه أنه دائم السخط على هذه الصلة التي جمعتها بأبيه لأنه يرى في نسب أمه لتلك القبيلة تقليلاً و إنقاصاً من منزلته، وأن نسبها لا يليق بفارس من فرسان عبس الأمجاد، فيقول:

لا تلم شيخي فما أدري به غير أن شارك نهداً في النسب

كان في قيس حسيباً ماجداً فأنت نهد على ذلك الحسب³

وقد تطور سخط عروة لتلك العلاقة بين أمه وأبيه إلى حد هجائه أخواله هجاء مرا لأن بني نهد قبيلة أمه ليست بمنزلة قبيلة عبس وفي هذا يقول عروة:

ما بي من عار إخال علمته سوى أن أخوالي إذا نسبوا نهد

إذا ما أردت المجد قصر مجدهم فأعيا على أن يقاريني المجد

فيا ليتهم لم يضربوا في ضربة وأني عبد فيهم و أبي عبد

ثعالب في الحرب العوان فإن تنج وتنفرج الجلى فإنهم الأسد⁴

وبالرغم من هجاء عروة لأخواله وسخطه على أبيه، إلا أنه لم يتعرض قط إلى هجاء أمه وكل الذي ذكره أنهم كانوا يعيرونه بها يقول عروة:

(1) ينظر ، الأصفهاني ، الأغاني ، ص ج3 ، 80.

(2) الديوان، ص95.

(3) الديوان، ص46.

(4) الديوان، ص56.

هم عيروني أن أمي غريبة وهل في كريم ماجد ما يعير¹

وجاء دفاع عروة عن أمه دفاعا تقليديا لا يوحى بحرارة و حدة، وربما هذا يرجع إلى اقتناعه بعدم أحقيته في الدفاع عن الأصل الوضيع والمنحط الذي انحدرت منه أمه، وربما لأنها أمه مهما يكن من ظروف وأحوال أو نسب ، فعروة كان يعظم الأم، وهذا يظهر في تشبيه نفسه بالأم في قصيدة يذكر فيها أصحاب الكنيف "وهم جماعة من فقراء قومه وضعفائهم وصعاليكهم، كان عروة يجمعهم في حظيرة ويرزقهم مما يغنمه، ويرعى مريضهم حتى يبرأ من مرضه، ويخرج بمن يستطيع منهم إلى الغارة، وذلك عندما يأتي على القوم أيام عجاف، ثم إذا أخصب الناس وألبنوا رجع كل إلى أهله " 2.

وقد عبر في قصيدته عن خيبة أمه ورجائه في أصحاب الكنيف، بحيث أنه كان ينتظر منهم الشكر والامتنان و الاعتراف بالجميل لرعايته لهم وحمائتهم والوقوف جنبهم وقت الضيق، وإذا بهم نكروا جميله ونسو فضله عليهم وما فعله من أجلهم.

وهو هنا مثل نفسه وموقفه هذا بالأم التي تتعب وتسعى وترعى ابنها حتى إذا كبر ورجت نفعه ذهب معروفه إلى غيرها، وفي ذلك يقول:

فإني وإياهم كذي الأم أرهنت	له ماء عينيها تفدي وتحمل
فلما ترجت نفعه وشبابه	أنت دونها أخرى جديدا تكحل
فباتت لحد المرفقين كليهما	توحوح مما نالها و تولول
تخير من أمرين ليسا بغبطة	هو الثكل إلا أنها قد تجمل ³

إن محبة الأم لأبنائها، لا يختلف عليه اثنان، حيث أن حب الأم لابنها هو حب فطري من عند الله تعالى، وقد تتجلى مظاهر هذا الحب بأسمى معانيها وبأوضح

(1) الديوان، 71.

(2) ينظر، الديوان، ص 18، 19.

(3) الديوان، ص 92.

صورها، ليصل الأمر بالأم أن تتمنى لو أنها افتدت ابنها بنفسها، لأنه أعلى وأثمن ما تملك في الدنيا .

لكننا نجد من الناس من يعصي أمه ويقرب زوجته وهذا ما يصوره عروة بن الورد تصويرا دقيقا، حين يشبه حالته مع أصحاب الكنيف الذين أكرمهم وأحسن إليهم، وهم في المقابل أساءوا إليه ، وأنكروا فضله، بحال الأم التي حملت ووضعت وأرضعت وربت ، وإذا بالابن يتنكر لها ويجفوها، و يقرب زوجته الجميلة التي تتزين له كي تجذبه إليها، مما جعل الأم تصرخ وتتألم لما آل إليه حالها مع ابنها الذي رجته.

فالشاعر من خلال هذه الأبيات يرسم لنا لوحة فنية مؤثرة حزينة موحية ضاجة بالأحاسيس والمشاعر المتضاربة و المتداخلة، مابين الحب والمودة والإخلاص وبين خيبة الأمل و الرجاء و الحزن.

وعروة نفسه لم يكن على علاقة طيبة مع أمه وأخواله، ووصل به الأمر إلى هجاهم و شتمهم، وهذا الأمر الذي جعل بعض قومه يستكرونها، لأن شتم الأهل وهجاهم من الأمور المستهجنة والغريبة في العصر الجاهلي وفي كل العصور، روى عن الأصمعي أنه قال : قال قيس بن زهير لعروة بن الورد:

أذنب علينا شتم عروة خاله بقره أحساء ويوم ببدد
رأيتك ألا فاببيوت معاشر تزايل يد في فضل قعب ومرفد¹

فقيس بن زهير عاب على عروة تجراه على هجاء أخواله النهديين، وما كان عروة ليهجو أخواله إلا لتبرمه من أمه وكونها أما له، وهذا الضيق انعكس حتما على علاقته مع أمه ومعاملته لها .

إن عروة هجا أخواله، ووالده أيضا حتى تمنى أن يكون عبدا من العبيد لأنه تزوج من نهد، وما كان عروة ليفعل ذلك إلا لتبرمه من كون أمه نهديّة.

(1) ينظر، إبراهيم الخواجة عروة بن الورد ، حياته وشعره ، ص 194.

و تبدو براعة الشاعر واضحة في نسج خيوط هذه الصورة النفسية من خلال ما حشده له من ألفاظ موحية دالة، وما ضمنها من مشاعر مؤثرة تهتف بصوت الوجدان و تمثل معاناة المرأة الإنسان، مستخدما في هذه الصورة لونا من ألوان الحياة النفسية التي تعرفها الإنسانية في مختلف العصور¹.

وعروة هنا في رسم هذه الصورة يقدم وضعيتين مختلفتين ومتقابلتين لحال صورة هذه الأم، تكمن الوضعية الأولى عندما كان ذلك الوليد صغيرا ضعيفا لا حول له ولا قوة، وهو في أمس الحاجة إليها ولا يمكنه الاستغناء عنها، وكيف كانت ترعاه و تهتم به و تغديه بنفسها ، وأنها مستعدة أن تفعل كل شيء مقابل راحتته، تغذيه ، تحميه، أما الوضعية الثانية أنه عندما كبر ابنها وأصبح قويا واشتدت بنيته وعوده، وصارت له زوجة، لكنه قابل صنيعها وجميلها بالنكران، و إيثار الزوجة عليها، وهي في هذه الحالة لا تستطيع فعل شيء سوى النحيب والبكاء والحزن، فهي بالأمس كانت أقدر عليه، فأصبح هو أقدر عليه اليوم.

ويبدو أن من خلاص علاقة عروة المميزة بأمه، كونه لم يعرف عطف وحنان الأب منذ صغره، فكانت أمه هي الأقرب إليه، ورغم من نسبها الوضع إلا أنه حاول أن يتجاوز هذا الواقع، ولم يسمح لنفسه بأن يوجه لأمه أي نوع من السخط أو الإهانة.

وقد رأينا أنه بالرغم من أن أم عروة كانت أمة إلا أنه كان على صلة قوية بها ولم يهنها قط وقد حاول أن يتجاوز ذلك الواقع ولم يؤثر حالها على علاقته بها.

ومهما يكن من أمر فإن عقوق الوالدين كان موجودا منذ العصر الجاهلي وإن لم يكن شائعا، و نجد الدين الإسلامي يحرض على بر الوالدين خاصة الأم، وحذر بشدة من عقوق الوالدين ويتوعد عاق والديه بالعذاب الشديد.

(1) ينظر ، يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ص 298 .

5- صورة المرأة الجاحدة :

تمثل صورة المرأة المصارمة في العصر الجاهلي نقطة يشترك فيها الشعراء الصعاليك مع شعراء عصرهم ، لكن الفرق بينهما في كيفية التعامل مع تلك المصارمة، وكيفية التعامل مع ذلك الموقف، فالشاعر الصعلوك لديه موقف خاص تجاه هذا النوع من النساء اللواتي يتركن الشاعر وتفارقنه وتقطع حبال وصاله، فهذا الشاعر الصعلوك لم يقابل تصرفها هذا بالبكاء والنواح والنحيب والحسرة والإشفاق وإظهار التلوع الشديد، بل كان يعارض كل هذه التصرفات والانفعالات، ويناقض من كل هذا موقف أصحاب الطلل الجاهليين أمثال: امرؤ القيس وعنترة وزهير وغيرهم، الذين أفاضوا في صيغ البكاء، ووقفوا على الطلل والدمن، واستهوتهم مواقف النحيب، أملا في التخفيف من آلام النفس ومعاناتها.

لقد تناول الصعاليك بكثرة صورة المرأة الجاحدة و الناكرة في مقطوعاتهم، ومنهم الشاعر محل الدراسة عروة بن الورد. فكيف تعامل معها؟ وكيف كان موقفه منها؟.

يقدم لنا عروة بن الورد صورة لامرأة جاحدة ظلت تعيش معه، تظهر له اهتمامها وإعجابها وحبها له، وأنها لا تحب أحدا غيره ولا تستطيع العيش بدونه، ولا يمكنها الاستغناء عنه، فإذا بهذا الموقف يتغير ويتحول بعدما استزارته أهلها واختارت البقاء عنده ورفضت العودة معه، بل وحتى رفضت الاعتراف بجميلهن ونكرت كل ما رأته من عنده من حسن أخلاقه وكرمه...، ونجده يعبر عن هذا الموقف بصدمة قوية، فيقول :

تحن إلى ليلي بحر بلادها	وأنت عليها بالملا كنت أقدر
يحل بواد من كراء مضلة	تحاول ليلي أن أهاب وأحصر
وكيف ترجيها وقد حيل دونها	وقد جاورت حيا بتيمن منكرا
تبغاني الأعداء إما إلى دم	وإما عراض السعادين مصدرا
يضل الآباء ساقطا فوق متنه	له العدو الأولى، ذا القرن أصحرا
كأن خوات الرعد رزه زئيره	من اللآء تسكن العرين بعسرا

إذا نحن أبردنا وردت ركابنا
 بدالك مني، عند ذلك صر يمتي
 وما أنسم الأشياء لا أنس قولها
 لعلك يوما أن تسري ندامة
 فغربت إن لم تخبرهم فلا أرى
 قعيدك، عمر الله، هل تعلميني
 صبورا على رزء الموالي وحافظا
 أقب ومخماص الشتاء مرزا
 وعن لنا من أمرنا ما تيسرا
 وصبري، إذا ما الشيء ولى فأدبرا
 لجارتها ما إن يعيش بأحورا
 علي بما جشمتني يوم غضورا
 لي اليوم أدنى منك علما وأخبرا
 كريما إذا أسود الأنامل أزهر
 لعرضي، حتى يؤكل النبت أخضرا
 إذا اغبر أولاد الأذلة أسفرا¹

وفي هذه الأبيات يضعنا عروة أمام حالة شعورية يشيع فيها الألم والأنين والإحساس بالضيق، فهو في مواجهة امرأة جاحدة ناكرة أنانية، تركت له البيت بلا رحمة، وزادت على ذلك أن أسمعته كلاما جارحا وقولا يصم، ونسيت ما فعله من أجلها في أيام سالفه .

والذي دفع الشاعر إلى استنكار زوجته والحنين إليها هو ما كان ينبع منه من آلام و التي أحدثت شرخا كبيرا في كيانه النفسي، وأن وداعها وفراقها قد أثرا عليه وعلى سير حياته. كما صور لنا من خلال هذه الأبيات موقف تلك المرأة التي تخلت عنه وفارقتة وتركتة وحيدا، ثم طلب منها أن تذكر لصاحباتها أخلاقه وخصاله وكرمه، وأن تقص عليهم ما فعله من أجلها، وما رأت منه من أيام كانت معه تنتكر له، لتعتبر طلبه غباء منه وحمقا، ثم يقول " اسألنها عني " .

وهكذا وجد الشاعر نفسه مرفوضا غير مرغوب فيه، فنراه يخاطب هذه المرأة المصارمة وقول لها بأنه سيأتي اليوم الذي ستندم فيه على موقفها هذا وعلى تخليها عنه وتركها لزوجها وحيدا، لأنها ستذكر صفاته، وأخلاقه الحسنة، فهو الجل المتخلق الصبور العفيف الحافظ لعرضه، و المؤثر لغيره...، وهذه الصفات لن تستطيع إيجادها مجتمعة عند رجل غيره.

(1) الديوان ، ص 65، 66.

وعروة ربما حاول بهذا الصنيع أن يشد من أزمته النفسية أو أن يخفف وطأة الأمر عليها، فهو شعر بالإحباط والحسرة من فعلتها، حيث أنه لم يكن يتوقع هذا التصرف من زوجته التي أحاطته بالحب والود والحنان والاحترام، وبقيت حتى آخر لحظة وهو تبين له حبها له وتعلقه به، حتى إذ بها صدمته بهذا التصرف الذي كسر نفسه وقلبه، فلم يجد ما يفعله حيال الألم والحسرة إلا أن يقوم بمواساة نفسه فراح يعدد مناقبها، ليجعل هذه المرأة هي الخاسر الوحيد لتركها إياه وأن يجعلها نادمة على تصرفها وموقفها.

وقد كان هذا الصرم ضربة قوية ومدوية على الشاعر، لأنه كان يعيش ظرفا خاصا مما جعله شديد الإحساس تجاه تصرفات الآخرين وخاصة المرأة، فقد شكلت المرأة بالنسبة إليه مصدر الأمان الذي يلجأ إليه كلما اشتدت عليه عواصف الحياة، وحضنه الدافي المليء بالحنان والحب والعطف، فعندها يلقي بهموم الحياة وعندها يستريح من عناء الحياة المتصلعة، فليس غريبا أن يشكل هجر المرأة وعذلتها ضربة قاسية عليه، فإذ نراه يتحسر على فراقها أيما حسرة، وما يوضح ذلك أبياته التي يقول فيها:

أطلعت الأمرين بصرم سلمى	فطارروا في عضاد اليستعور
سقوني النساء ثم تكفونوني	عادة الله من كذب وزور
وقالوا لست بعد فداء سلمى	بمغن ما لديك ولا فقير
ولا لأبيك كاليوم أمري	ومنك بالتدبير في الأمور
إذا لمكنت عصمة أم وهب	على ما كان من حسك الصدور ¹

تكشف لنا هذه الأبيات عن علاقة خاصة للشاعر بالمرأة، فهي علاقة أصابتها قطيعة أبدية، وهو ظل واقفا في مكانه راصدا ذلك الموقف و صارمته في الجهة المقابلة في مكان معلوم لكنه صار لا يملك وصالها، و كلا منهما يحمل ألام نفسية وأثقال عظيمة جعلت من ذلك الفراق أمرا محتما عليهما .

(1) الديوانة، ص 48 .

ويبدو لنا من الوهلة الأولى أن عروة هو من قام بصرم محبوبته سلمى بعد أن أشار عليه القوم بذلك، لكن سياق القصيدة يحيلنا إلى واقع آخر، حيث أن سلمى دبرت له مكيدة مع أهلها حتى تظل إلى جوارهم وتتخلص منه، حين أوهمته أولاً أنها لا يمكن أن تختار عليه أحداً، ثم عمد قوماً إلى سقيه الشراب حتى الثمالة، ثم افتدوها منه، وهو في غير وعيه...، فلما كان الغد شهد عليه قوم متمن حضروا فلم يقدر على الامتناع عن مفاداتها.¹

وهكذا يعود عروة وحده من غير زوجته التي عاشت معه زمناً طويلاً، والتي تعود على وجودها جنبه وألف العيش معها، وفي حالة الصعلوك ليس من السهل إيجاد البديل، فمن ترضى بتزوج يحمل كفه في يده، وحياته مليئة بالخطر والسطو والغزو، إضافة إلى الفقر وقلة أسباب العيش، فالصعلوك يعيش حياة صعبة، والأبيات توضح مرارة الفراق وحدة الألم، وتوضح الشوق والحنين والحسرة والندم ومعاناة الشاعر، وإن حاول عروة يلقي اللوم على نفسه، لكن الواقع أن سلمى هي التي صرمتها وستندم يوماً ما على صرمها له، وقد حمل عروة موقفاً سلبياً اتجاهها، ولم يقم بالتغزل بها أو ذكر أوصافها، وعروة يرفض أن يصرح بالحقيقة ويتركها تلتهب في نفسه .

وقد وجدنا من خلال هذه الصورة أن عروة كغيره من الصعاليك قد تذوق مرارة الفراق و ألمه، فقد كانت حبيبته تسكن خياله وروحه ولا تفارقه حتى بعد تخليها عنه، ولهذا أخذ موقفاً منها ولم يقابلها بالبكاء والنحيب و إنما أخفى ألمه وحرقة قلبه عنها، وأخذ يحتفظ بهيبته أمامها.

(1) ينظر، القصة كاملة، الديوان، 46.

خاتمة

الخاتمة

في تمام هذه الدراسة التي تمت بعون الله، سنتعرض لأهم النتائج المتوصل إليها والتي جاءت على النحو الآتي:

- ❖ **المعنى المباشر للصعلكة هو الفقر، وأن الصعاليك هم جماعة يعيشون على السطو على القبائل، والنهب والغزو، احترفوا القتال وحمل السلاح وقطع الطريق، حياتهم مليئة بالتهديد والوعيد والخطر والمغامرات.**
- ❖ **تمرد الصعاليك على قبائلهم كان نتيجة ظروف سياسية و اجتماعية و اقتصادية، وكانت هذه العوامل سببا في تمرد تلك الطائفة، مما أدى بهم إلى تكوين مجتمع خاص بهم بعد خروجهم عن نظام القبيلة واتحادهم وتعاونهم مع بعضهم البعض.**
- ❖ **شعر الصعاليك تمرد على نظام القصيدة الجاهلية وثار ضد قواعدها، فرفضوا المقدمات الطلالية والبكاء على الديار والدمن وعدم استعمالهم التصريح مما جعل قصائدهم تتميز بالسرد القصصي.**
- ❖ **صوّر الصعاليك في شعرهم حياة الشقاء والتشرد والنفي والظلم التي عايشوها، كما صوروا مغامراتهم في الصحراء والجبال وصراعهم مع الوحوش الضاربة، فكان شعرهم وثيقة تحمل أفكارهم وفلسفتهم في الحياة وتروّج لها، كما يعبر بصدق عن التغيير الاجتماعي على رؤيتهم ومبادئهم.**
- ❖ **وجدنا أن عروة بن الورد لقب بعروة الصعاليك، وصف بالفروسية والجدود، اتصف أيضا بالشجاعة والكرم، عفيف ذكي صريح حسن العشرة، يتميز بالصدق في كل شيء**
- ❖ **كان عروة يمثل الجانب الإنساني في حركة صعاليك العرب الجاهلية، وأن شخصيته وشعره يبين لنا أن فكره منفتح ناضج ينم عن فلسفة راقية درس من خلالها مشكلة اجتماعية اقتصادية هي مشكلة الفقر والغنى، يذم الذليل الخامل القاعد عن العمل ويدعو دائما إلى العمل والنجاح.**

❖ يتميز شعر عروة بن الورد أن أسلوبه وسطي سهل اللفظ مقارنة بغيره من الصعاليك، واضح المعنى قريب التعبير لا نجد فيه تكلفا ولا تصنعا فيه نصيب من التصوير.

❖ عروة كغيره من صعاليك عصره ذكر المرأة في شعره واهتم بها، فقد شغلته المرأة فتقن في وصفها ومحاورتها، وذكر صفاتها وأخلاقها وأحبها وأعطى لنا عدة نماذج وصورا عنها .

❖ اعتمد الشاعر في رسمه لصورة تلك المرأة العاذلة تقنية الحوار و الإقناع، كونه يشاركها الرأي ويشاورها في أمره، لكن تلك المشاركة كانت لا تتجاوز حدود الإصغاء، وكان لا يغير من نفسه أو مبادئه من أحلها. وإن كان هذا الصعلوك يخلق ذلك الحوار المتوهم بينهما وكان يضم حديثا بينه وبين نفسه لفهم معنى الحياة.

❖ ففي صورة المرأة العفيفة كان غزل الشاعر عفيفا في تصوير المرأة وفي حديثه عن صفات المرأة وأشواقه وعطفه وحبه. وفي الحديث عن أخلاق تلك المرأة وأهمية تلك العفة وقيمتها بالنسبة إليه، كما أن النماذج "الصعلوكية" صورت المرأة العفيفة تصويرا واقعيا حقيقيا صادقا.

❖ من خلال تصوير عروة للمرأة الأمة و السبية عكس لنا حقيقة الألم والقهر والمعاناة التي عاشها العبيد في المجتمع الجاهلي ورسم لنا بدقة حدة الاضطهاد و الذل، وعروة من الصعاليك الذين اهتموا بسبي النساء وعاملهن بكل رفق ولين ولم يؤذهن وحتى أنه تزوج منهن.

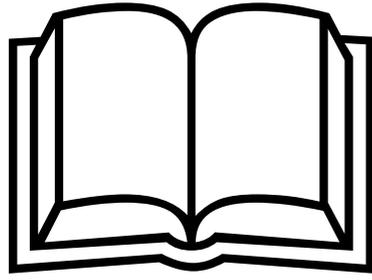
❖ رأينا أن الأم احتلت مكانة بارزة في قلب شاعرنا، وأنها كانت قريبة منه لأنه حرم من عطف الأب وحنانه، إلا أن نسبها كان وضيعا وهذا الشيء لم يؤثر في علاقته معها ولم يهنها يوما وذكرها في أشعارها، فهو لم يهجوها وإنما هجا أحواله وأباه.

و أخيرا نرجو أن تكون دراستنا قد أصابت ولو جوانب من المعالجة، وتعتذر عن طابعها لاجتزائي كونها لا تملك القدرة على الإحاطة

بجميع الجوانب، فإن وفقنا فمن الله وحده، وإن أخفقنا فلنا شرف
المحاولة و التعلم وحسب.

نجدد الشكر للجنة الموقرة على تحملها قراءة و تقويم الدراسة، ونعدها
بأننا سنعمل على التقيد بملاحظاتها، وتصحيح ما جاء في الدراسة من
أخطاء.

والحمد لله على ما وفق وأنعم، فهو الأعز والأعلى والأعلم.



المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم.

1-المصادر:

أسماء أبو بكر محمد، ديوان عروة بن الورد، أمير الصعاليك منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د.ط.

إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط4، 1990.

إميل بديع يعقوب، ديوان الشنفرى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1991،

إميل بديع يعقوب، ديوان عمرو بن كلثوم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1991

أبي الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1 ج2، سنة 2000.

عبد الرحمان المصطادي، ديوان تأبط شرا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2006.

أبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك، الأصمعيات، تح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة. د.ت.

سعدى الضنادي، ديوان السليك دار الكتاب العربي، 1994.

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، مصر، ج6.

أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، شرح ديوان الحماسة ل: أبي تمام، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د.ت، د.ط.

أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تح: إحسان عباس وآخرون، دار صادر لبنان د.ط، د.ت، مج 21.

📖 أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، شرح وتصحيح: أمين محمد عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة 1999. ج السابع.

📖 أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، تح أحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ، دت ، دط ، ج7.

2- المراجع باللّغة العربية :

📖 جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج4، ص 390.

📖 حسن جعفر نور الدين، موسوعة الشعراء الصعاليك، ج1، رشاد بوسي طبع في لبنان د/ط.

📖 حسين عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي فنون و نصوص ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط2 ، 2003.

📖 حسين عطوان ، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، دط ، دت ، ص 193 .

📖 عبد الحليم حفني ، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ، الهيئة البشرية العامة للكتاب ، دط ، 1998.

📖 حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، دار الجيل ، بيروت ، دت ، دط.

📖 خالد زواوي ، تطور الصورة في الشعر الجاهلي ، مؤسسة حورس الدولية ، للنشر والتوزيع ، الإسكندرية ، مصر ، ط1 ، 2000

📖 سامي يوسف أبو زيد ، منذر ذيب كفاقي ، الأدب الجاهلي ، دار السيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ط1، 2011.

📖 شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ج1، ط11.

📖 ضياء غني لفته، البنية السردية في شعر الصعاليك، دار حامد للنشر و التوزيع، 2010 ، ط1 .

- 📖 عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 3 ، 2004.
- 📖 غازي طليعات، عرفان الأشقر، الأدب الجاهلي، قضاياها، أغراضه، أعلامه، فنونه، دار الإرشاد، حمص، ط1، ، 1992.
- 📖 عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في النقد الشعري ، دراسة في النظرية والتطبيق ، مكتبة الكناني ، الأردن ، دط.
- 📖 عبد القادر عبد الحميد زيدان، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي ، دار الوفاء لعنوا الطباعة والنشر ، دط ، سنة 2002.
- 📖 أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي ، طبقات الأمم ، بيروت ، لبنان ، د ط ، د ت.
- 📖 يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط 5 ، 1986.
- 📖 يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، دار المعارف ، مكتبة الدراسات الأدبية ، ط3.
- 📖 يوسف عليعات ، النسق الثقافي ، قراءة في أنساق الشعر القديم ، عالم الكتب الحديثة ، عمان ، دط ، 2009.

3- المراجع المترجمة:

- 📖 بول دي مان ، العمى والبصيرة ، مقالات في بلاغة النقد المعاصر ، تح : فلادغوزيتش ، تر : سعد الغانمي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، دط ، 2000،
- 📖 جاكوب كوراك ، اللّغة في الأدب الحديث ، الحداثة والتجريب ، تر: ليون يوسف وعزيز عما نوتيل ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، دط ، 1989 ، ص 241 .
- 📖 كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، تر: عبد الحلين النجار ، دار المعارف ، القاهرة ، ط5 ، ج1.

4- المجلات والدوريات:

📖 صورة المرأة عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بحرين، العدد 14، صيف 2007م.

📖 ظاهرة العذل في شعر حاتم الطائي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 19، العدد الأول، سنة 2002.

📖 العاذلة، قراءة في شعر الصعاليك من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، مجلة البحث العلمي في الآداب، جامعة الطائف، الجزء الثالث، العدد العشرون، 2019.

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
أ	المقدمة.....
	المدخل
5	الشعر في العصر الجاهلي
5	الحياة في العصر الجاهلي
8	مكانة المرأة في العصر الجاهلي.....
	الفصل الأول: الصلابة والصلابة
12	تعريف الصلابة
13	تعريف الصلابة
14	أسباب الصلابة
19	الإطار السياسي والاقتصادي والاجتماعي للصلابة .
21	موضوعات شعر الصلابة
25	التعريف ببعض الصلابة.....
25	تأبط شرا
26	الصلابة بن الصلابة
28	عروة بن الورد
	الفصل الثاني: صورة المرأة وتجلياتها في شعر عروة بن الورد
33	صورة المرأة العاذلة
38	صورة المرأة العفيفة
41	صورة المرأة السبية
47	صورة المرأة الأم

52	صورة المرأة الجاحدة.....
56	خاتمة
60	قائمة المصادر والمراجع
64	الفهرس
	الملخص.

الملخص:

حظي الشعراء الصعاليك باهتمام بالغ من قبل الدارسين القدامى والمحدثين و الأكاديميين، حيث درسوا كل ما يتعلق بحياتهم وأسلوب عيشهم و مناطق إغارتهم ومغامراتهم وأماكن تواجدهم...، كما سلطوا الضوء على علاقة الصعاليك بالمرأة ومكانتها بالنسبة إليهم، وتغنيهم بها في شعرهم، كون المرأة تمثل ركيزة المجتمع. وقد اخترنا أحد هؤلاء الصعاليك لنرى علاقته بالمرأة، و كيف تجلت صورة المرأة في شعره من هذا البحث الموسوم ب: **صورة المرأة وتجلياتها في شعر عروة بن الورد.**

وقد انتظم هذا البحث في فصلين: تصدرتهما مقدمة وتلتها خاتمة ومدخل. تضمن المدخل جملة من القضايا التي تعين على فهم البحث. وفي المقدمة عرضنا أسباب اختيار الموضوع وأهميته وخطوات البحث والصعاب التي اعترضت سبيل الباحثين. الفصل الأول فجاء معنوناً ب: بالصعلكة والصعاليك، تناولنا فيه تعريف الصعلكة والصعاليك، وأسباب الصعلكة، والإطار السياسي و الاقتصادي والاجتماعي للصعاليك، وموضوعات شعرهم، كما قمنا بتقديم بعض الشعراء الصعاليك. أما الفصل الثاني فتناولنا فيه صورة المرأة و تجلياتها في شعر عروة بن الورد، حيث تعددت صورة المرأة، من المرأة الجاحدة، إلى المرأة الأم المرأة، إلى الزوجة العفيفة، إلى السبية والأمة. خاتمة البحث وكانت عبارة عن مجموعة من النتائج المتحصل عليها.

الكلمات المفتاحية: الشعر-الصعاليك-العصر الجاهلي-المرأة-عروة بن الورد

Abstract:

The Tramps poets received great attention from ancient scholars, modernists, and academics, as they studied everything related to their lives, their way of life, their areas of jealousy, their adventures, and their whereabouts ... They also shed light on the relationship of the Tramps with women and their position in relation to them, and enriches them in their poetry, the fact that women represent A pillar of society. We chose one of these tramps to see his relationship with women, and how the image of women was manifested in his poetry from this research marked by: The image of women and their manifestations in the poetry of Urwa ibn al-Ward.

This research was organized into two chapters: they were led by an introduction, followed by a conclusion and an introduction.

The introduction included a number of issues that helped to understand the research. In the introduction we presented the reasons for choosing the topic, its importance, the steps of the research, and the difficulties encountered by the researchers. The first chapter came entitled: "The tramp and the tramp." In it we dealt with the definition of the tramp and the tramp, and the causes of the tramp And topics of their poetry, as we have introduced some Tramps poets. As for the second chapter, we dealt with the image of the woman and its manifestations in the poetry of Urwa ibn al-Ward, where the image of women varied, from the ungrateful woman, to the mother-woman woman, to the chaste wife, to the captivity and the slave. The conclusion of the research was a set of results obtained.

Key words: poetry – Homless men - pre-Islamic era-woman-ourwa ibn elouard-